

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجنّدين في الحرب العالمية الأولى

بقلم التليبي العجيلي

بقيت فرنسا - رغم إقرارها بفصل الدولة عن الدين منذ سنة 1907 ،
وانتهاجها للأثنية - مُهمّة - في مستعمراتها - بالمسألة الدينية ، حيث عملت
على توظيف رموزها - من علماء ومشائخ طرق صوفية - في خدمة مصالحها
الاستعمارية في بلدانهم . ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وطيلة الفترة
التي استغرقتها ، أصبحت معالم تلك السياسة الدينية أكثر وضوحاً ، وقد تجلّت
فيما قامت به فرنسا تجاه المجنّدين والموجودين على جبهات القتال .
فما هي دوافع تلك السياسة ، وما هي أبرز مظاهرها ؟

I - دوافع السياسة الدينية لفرنسا :

تجد تلك السياسة مبرراتها في عدّة أسباب من أهمّها :
(1) أهميّة المسلمين في تحديد نتيجة الحرب : فرغم أنّ جلّ أنحاء العالم
الإسلامي كانت عند اندلاع الحرب العالمية الأولى - تحت الاستعمار الفرنسي

* المصطلحات المستعملة : A.G.T. Archives du gouvernement Tunisien

C.N.U.D.S.T, Centre National Universitaire de documentation Scientifique et Tech-
nique

R.G, Resident General

C.C, controleur civil.

والانقليزي ، فإنّ الحلفاء كانوا يخشون من مغبة عدم ولاء المسلمين لهم في تلك الظروف الحرجة ، لا لأنّ الحلفاء يحتلون بلدانهم والحرب من شأنها أن توفر لهم الظروف المواتية للثورة ، وإنّما لأنهم يدركون أنّه رغم استيلائهم الجغرافي على مناطق شاسعة من العالم الإسلامي فإنّ جلّ المسلمين - آنذاك - كانوا لا يزالون على ولائهم لمقرّ الخلافة ، « المركز الروحي » الذي تتجه إليه أنظارهم رغم ما بلغته من ضعف وانحطاط ، وما أصبح عليه الخليفة من وجود شكلي بعد خروج السلطة الحقيقيّة والفعليّة من بين يديه . لكن رغم ذلك خشي الحلفاء من نجاح تركيا - باستغلالها لنفوذها الروحي - في جرّ المسلمين إلى الوقوف إلى جانبها بعد دخولها الحرب إلى جانب ألمانيا :

ذلك أنّ هذه الأخيرة بعد استكمالها لوحدها ، اقتربت من السلطان العثماني الذي دعا إلى الجامعة الإسلامية ، وعمل على الاستعانة بألمانيا ، والاعتماد على تأييدها في مواجهة كلّ من روسيا وانجلترا وفرنسا .

وجاءت زيارة الامبراطور الألماني - غُليوم الثاني - إلى عاصمة الخلافة - سنة 1898 - توطيداً للعلاقة بين البلدين وتدعيماً لها ، كما زار بيروت ودمشق حيث توقّف عند قبر صلاح الدّين الأيوبي ، مهدياً له قنديلا أثرياً (1) ، ومعلناً - في خطابه - أنّه « صديق للثلاثمائة مليون مسلم المُجَلِّين للخليفة العثماني » (2) . ولئن أمكن لألمانيا - بسياستها تلك - أن تحترق « الخلافة

(1) أمين سعيد ، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشّريف حسين ، دار الكتاب العربي ، ص 32 .

Ageron, Ch. R., Les Algériens musulmans et la France (1871 — 1919), Paris, P.U.F, 2 T, (2)

1968, T.2, P. 1174

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى 175

العثمانية « اقتصادياً بنيلها للعديد من الامتيازات التي من أهمها سكة الحديد الرابطة بين الآستانة وبغداد (3) ، فإنها اخترقها كذلك عسكرياً (4) وخاصة دينياً ، لا بإعلان الإمبراطور الألماني أنه صديق لكل المسلمين ، وحاميهم والمستعد لتنفيذهم من وطأة مضطهدهم (5) فحسب ، بل في تلقبه بلقب «الحاج غليوم» ، وانتشار ذلك بين المسلمين أين ما كانوا ، حتى أن بعضهم كان يعتقد أنه فعلاً اعتنق الإسلام (6) !!

لم تكن ألمانيا - في إطار سياستها الرامية إلى إيجاد مجال حيوي - تقدر الأهمية الاقتصادية وحتى العسكرية التي تمثلها - بالنسبة إليها - « الدولة العثمانية » فقط ، وإنما كانت كذلك مدركة لأهمية مركزها الديني ، وإمكانية توظيفه والاستفادة منه عند الحاجة .

فإن كانت عند اندلاع الحرب العالمية الأولى قد نجحت عسكرياً - بحمل تركيا على الوقوف الى جانبها في صف « الامبراطوريات الوسطى » بعد

(3) الى جانب ذلك مكنت الشركة الالمانية نفسها من استخراج ما تجده من المعادن حتى مسافة 25 كلم على جانبي السكة ، كما منح السلطان البنك الالماني حق إنشاء فروع له في بلاده ، انظر أمين سعيد ، المرجع السابق ، ص 32 .

(4) استقدم السلطان العثماني بعثة عسكرية من خمسة وعشرين من كبار الضباط الألمان يمثلون جميع الأسلحة ، ولئن كان السلطان نفسه أول ضحية لذلك التحديث العسكري لجيشه ، فإن الاستعانة بالخبرات العسكرية الألمانية تواصل مع جمعية الإنقاذ والترقي ، من ذلك أن أنور باشا - الذي كان سنة 1913 يشغل وزارة الحربية قد استعان ببعثة ألمانية لاصلاح الجيش التركي ، انظر أمين سعيد ، المرجع السابق ، ص 32 - 33 .

(5) Bernard, A, *L'effort de l'Afrique du Nord*, Paris, publication du comite de «L'effort de la France et de ses alliés», 1916, p.6

(6) Ageron, *op.cit*, t.2.p. 1174

أن استمات أولئك العسكريون الذين كوّنتهم وعلى رأسهم أنورباشا (ت . 1922) في الدفاع عن ذلك التحالف - ، فإنها كانت - أيضا - تهدف من وراء ذلك إلى الاستفادة من المكانة الدينية « للخلافة » في نظر المسلمين بتوظيفها في سحب البساط من تحت الحلفاء المستعمرين للشعوب الإسلامية : فمنذ 15 أكتوبر 1914 وجه السلطان العثماني نداء الى كلّ المسلمين يدعوهم فيه الى اعلان الجهاد ، كما نشرت جريدة الشباب التركي Jeunes Turcs - يوم 26 نوفمبر 1914 - فتوى لشيخ الإسلام ، يعلم فيها المسلمين بأنهم مدعوون إلى الجهاد ضدّ أعداء الإسلام الذين برهنوا على عدوانهم بمهاجمتهم لمقرّ الخلافة (7) .

كانت المانيا تهدف من وراء ادخال تركيا إلى جانبها في الحرب الى فتح عدّة جبهات على الحلفاء لإجبارهم على تشتيت جهودهم العسكرية بتثوير عدّة مناطق ضدّهم في الهند ومصر وخاصة شمال إفريقيا .

وبتيقن الحلفاء من ذلك التحالف الألماني - التركي ، بادروا الى التقرب من العرب ، لاجباً فيهم ، وإثما رغبة في استغلالهم في خدمة مصالحهم بالاستعانة بهم في قتال الترك والألمان (8) .

فبادروا - في مرحلة أولى - الى الحيلولة دون انتشار نداء السلطان العثماني الداعي إلى « الحرب المقدسة » خاصّة في تونس حيث وقفت سلط الاحتلال على العديد من المؤشرات الدالة على تعلّق سكّانها بمقرّ الخلافة .

Arnoulet, F, «Les Tunisiens et la première guerre mondiale (1914 — 1918)», *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée (R.O.M.M)*, n° 38 (1984), pp. 47 — 61, p. 50

(8) أمين سعيد، المرجع السابق ، ص 33 .

وفي مُستوى ثانٍ بادر الحلفاء الى دعم ثورة الشريف حسين لتحويل مركز « النّفوذ الرّوحي » للمسلمين من استانبول الى مكّة ، ومن الأتراك إلى العرب باعتبار أنّ الخلافة يجب أن تكون فيهم دون سواهم ، وتبعاً لذلك روج الحلفاء منشور الثورة الذي أصدره الشريف المذكور (9) في كل أنحاء العالم الإسلامي .

هذا على مستوى المواجهة الخارجية للنّفوذ الديني للسلطان العثماني وشيخ الإسلام ، أمّا على مستوى مواجهة ذلك النّفوذ داخل البلاد التونسية ، وبعد أن وقفت السلطات الاستعمارية بها على العديد من المؤشرات الدالة على ما يكتنه سكانها من تعلّق وولاء للخلافة (10) ، فإنّ تلك السلطات عملت على مواجهة تركيا وألمانيا بنفس السلاح الذي توجّهت به ألا وهو سلاح الدين :

فأمام توظيفهما له ولرموزه لتثوير المسلمين ضدها وضدّ حلفائها ، ردّت فرنسا بنفس السياسة بمبادرتها إلى توظيف محليّ للدين ورموزه مُوازٍ ومقابل لتوظيف تركيا ومن ورائها ألمانيا ، إذ عمدت - لترجيح الكفة لصالحها - إلى الالتجاء إلى مشائخ الطرق الصّوفية وعلماء المؤسّسات الدينية الرّسمية ليعلموا مناهضتهم لدخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، ويؤكدوا ولأدّهم الدائم

(9) حول رواجه في شمال إفريقيا مثلاً ، أنظر سليمان موسى ، « المنشور الأوّل للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال إفريقيا » ، المجلّة التاريخية المغربية ، عدد 8/7 (1977) ، ص 106 - 111 .

(10) أنظر أمثلة عن ذلك في أطروحتنا للمرحلة الثالثة ، الطرق الصّوفية والاستعمار الفرنسي للبلاد التّونسية 1881 - 1939 ، مخطوطة ، تونس ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، 1987 ،

للدولة الحامية (11) ، مع العلم أنه قد أمكن أيضا توظيف الباي الذي كان له نفس الموقف (12) .

ومزيّدًا منها في تنصيع صورتها أمام الرأى العام الإسلامى عامّة والمحليّ خاصّة - فيما يخصّ - احترامها للإسلام وحرصها على مصالح المسلمين وللحدّ من تأثير الاتّهامات الألمانية التركية المركّزة على انتهاكاتها للإسلام - كان من المفروض أن تلتزم فرنسا - تجاه المجنّدين من المسلمين - بسياسة دينية تقوم على احترام شعائر دينهم ، حتّى تكسب ثقتهم وولاءهم ، وخاصّة ليتفانوا في الدّفاع عنها ، والموت من أجلها .

(2) وجود عشرات الآلاف من المسلمين على جبهات القتال الى جانب الجيوش الفرنسية : ذلك أنّه باندلاع الحرب العالميّة الأولى ، وتبعًا لحاجتها الماسّة والأكيدة للأهالي ، عمدت حكومة الاحتلال - طبقا للأمر العلي المؤرّخ في 1 أوت 1914 - إلى استدعاء الأهالي من الاحتياطين من عدّة حصص (13) .

(11) فيما يتعلّق بتلك المواقف للطرق الصّوفية أنظر ، العجيلي ، الطرق الصّوفية والاستعمار ... ، ص 155 - 161 ، أمّا عن موقف مشائخ أهل المجلس الشّرعى بالمذهبيّن الحنفى والمالكي فانظر ، « شواهد الإخلاص » ، جريدة الزّهرة ، عدد 2032 ليوم 10 نوفمبر 1914 ، ص 2 .

(12) انظر « خطاب ملوكي لعامة الرعايا التّونسيين » ، جريدة الزّهرة ، عدد 2033 ، ليوم 10 نوفمبر 1914 ، ص 1

(13) حول مختلف القوانين المتعلقة باستدعاء إحتياطي مختلف الحصص انظر :

الرأئد الرّسمي - عدد 61 ليوم 2 أوت 1914 ، ص 1

- عدد 68 ليوم 10 أوت 1914 ، ص 1

وعدد 86 ليوم 16 سبتمبر 1914 ، ص 1

وبعد اندلاع الحرب ، ظلت حكومة الاحتلال - حرصاً منها على مدّ المُتروبول بما تحتاجه من الرجال - تُغري المحليين في تونس بالفوائد التي يمكنهم الحصول عليها من خلال تطوعهم (14) .

بكلّ تلك الوسائل ، فاق العدد الجملي للتونسيين الذين شاركوا - إلى جانب فرنسا - في الحرب ، الثمانين ألف (80.339) ، منهم عشرة آلاف من المتطوعين (16) .

ونظراً لحاجة البلاد الفرنسية إلى تعويض الفرنسيين المجندين في الحقول والمعامل ، فقد أمدتها البلاد التونسية بحوالي ثلاثين ألف من العمال ، نصفهم تقريباً تمّ تجنيدهم عن طريق المصالح الاستعمارية (17) والبقية كمتطوعين . وبذلك تكون البلاد التونسية قد أمدّت فرنسا - طيلة الحرب العالمية الأولى - بأكثر من مائة ألف تونسي من الأصحاء الذين غادروا البلاد وعائلاتهم لقتال عدو فرنسا على الجبهات أو العمل في المصانع والحقول (18) .

(14) من ذلك مثلاً قولها أنّ « محصول المتطوع - لمدة ثلاثة سنوات - يكون 400 فرنك من جهة العوض ، و 378 فرنك مرتّب يومي ، خاصّة وأنّ الجراية اليومية للعساكر بفرنسا وقع الترفيع فيها من خمسة صانتيما إلى خمسة وعشرون صانتيما . . . » ، ممّا يجعل التطوع عظيم الفائدة من حيث المالية ، وتزيده أهمية مساوات الأهالي في نفس الفوائد التي للعسكري الفرنسي من حيث طيب الأكل !! والعناية والأسفار الراقية (كذا) ، وقبول السكّان الفرنسيين لهم بمظاهر الوداد الأخوي ، وفخر الحرب ، وعزّ الانتصار ، وعند رجوعهم (المتطوعون) لبلادهم يرشّحون على غيرهم في الوظائف الشاغرة بالإدارات العامّة بالمملكة . . . » ، أنظر ، أرشيف الحكومة التونسية ، منشور وزاري بتاريخ 30 نوفمبر 1915 ، E 440 — 18/31 ، Mobilisation 1914

(15) Arnoulet, op.cit, p. 48

(16) Mahjoubi, A, Les Origines du mouvement national en Tunisie, 1904 — 1934, Tunis, publication de l'Université de Tunis, 1982, P. 150

Ibid (17)

Ibid (18)

إنَّ وجود عشرات الآلاف من المسلمين على جبهات القتال ، بالإضافة الى الدّعاية الدّينية التي تمارسها ألمانيا - من خلال استغلالها لتركيا - فرض على الحكومة الفرنسية انتهاج سياسة دينية تجاه أولئك المجنّدين حتّى تظهر أمام أعدائها وأمام المسلمين المناصرين لها بمظهر المحافظ على الشعائر الإسلامية والمحترم لها والحريص على تمكين المسلمين - الذين هم في خدمتها - من أدائها رغم ظروف الحرب حتّى تكسب عطف المسلمين ، وتحدّ من تأثير الدّعاية الألمانية التّركية التي ركّزت كثيراً على المسألة الدّينية .

II - محاور السّياسة الدّينية لفرنسا على الجبهة :

تمثّلت تلك السّياسة في العديد من المسائل التي لها علاقة بالإسلام ، حيث عملت الحكومة الفرنسية آنذاك على مساعدة المجنّدين على اتباع تعاليم دينهم ومبادئه فيما يتعلّق بالعبادات خاصّة ، وقد تمثّلت تلك السّياسة في :

1) استجلاب إطارات دينية : فبدعوى الإحاطة بالمجنّدين من المسلمين ، وتأطيرهم ، وتبصيرهم بأمور دينهم وإعانتهم على القيام بها ، حرصت الحكومة الفرنسية على استقدام إطار ديني يتكوّن من :

* أئمة : فقد قرّر وزير الحرب الفرنسي - بتاريخ 27 أفريل 1915 - أن يرسل على سبيل التّجربة - سبعة أئمة يوفدون إلى الحكومة العسكرية بباريس والفيالق الرّابع ، والخامس عشر والسادس عشر والسّابع عشر والثامن حيث يوجد المسلمون المعالجون بالمستشفيات بكثرة .

وقد عهد إلى الحاكم العام بالجزائر مباشرة تعيينهم ، بعد أن طُلب الى القيادة العسكرية والأطباء رؤساء المستشفيات تمكين أولئك الأئمة من كلّ

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى 181

التسهيلات الضرورية لإقامة أمكنة لأداء الصلاة بتلك المؤسسات الاستشفائية (19) .

وتنفيذاً لتلك الأوامر ، فإنّ من بين من وقع عليه اختيار الحاكم العام للجزائر « من رجال الدّين لقضاء تلك المأمورية بين العساكر المسلمين هما السيّد بومزراق الوانوغني المقراني - مفتي الأصنام ومدرّسها ، والسيّد عبد الرّحمان القطرانجي - الذي كان يشغل خطّة عدل بالمحكمة المالكية بمدينة الجزائر - وكلاهما من قدماء أبناء المدارس الذين استفادوا فيها علماً متيناً مع بقائهم على التمسك بالعقائد الإسلامية ... » (20) !

أمّا فيما يخصّ البلاد التّونسية فإنّ بعض الاشارات تدلّ على أنّ المجندين من التّونسيين كانوا محاطين بأئمة وقع إرسالهم الى فرنسا منذ شهر جوان 1915 (21) :

فلقد أمكننا الوقوف على مطلب للمدعو الحاج محمد بن مصطفى النّجار المكتبي بجهة الماتلين من مراقبة بنزرت ، يطلب فيه تعيينه إماماً بفرنسا (22) .

كما أنّ المسمّى مصطفى الكافي القاطن - آنذاك - بـ 31 نهج الجلد بتونس - قد طلب هو الآخر تعيينه إماماً واعظاً بالمسجد الجديد الذي تمّ

C.N.U.D.S.T, Gerre 1914 — 1918, le Ministre de la guerre au ministre des affaires étrangères, le 13/6/1915, Carton 1665, bobine P. 80, 3/1915 — 10/1915, f.132

(20) مسلم ، « المساعدة الأدبية للعساكر الوطنية في فرنسا ، الأئمة » ، جريدة أخبار الحرب ، الجزائر ، المطبعة الشّرقية للأخوين فونتاننا ، عدد 57 ، ليوم 17 سبتمبر 1915 ، ص 4 .

(21) Goldstein, D, *Libération ou annexion : aux chemins croisés de l'histoire Tunisienne* (21) 1914 — 1922, Tunis M.T.E, 1978, P.180; de même Arnoulet, op.cit, P. 54

A.G.T, Le R.G au C.C. de Bizerte (sans date), D 70 — 8 (22)

تأسيسه في باريس ، مبيّنًا أنه كفاء للقيام بالمهمة المطلوبة ، وأنه طلبها لكثرة أفراد عائلته . وأنه مستعدّ - من أجل القيام بتلك المهمة - لمغادرة مسقط رأسه ، والتّحوّل الى العاصمة الفرنسية (23) .

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ أولئك الأيّمة لم يرسلوا - في الحقيقة - لمساعدة المرضى من المسلمين المجنّدين على القيام بشعائر دينهم ، وإنّما كان إيفادهم يتنزّل في إطار مواجهة فرنسا للدّعاية « الإسلامية » لألمانيا :

ذلك أنّ هذه الاخيرة استقدمت علماء مسلمين إلى برلين حيث توجد بعض محتشدات الأسرى من المسلمين ، وذلك قصد إلقاء محاضرات وخطب لحثّهم على القتال إلى جانب ألمانيا وتركيا ، وإقناعهم بمشروعية دُخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا استغلالاً من هذه الأخيرة لمشاعر المسلمين لما لتركيا - مركز الخلافة - من وزن وتأثير عليهم .

وفي ذلك الإطار يتنزّل ما قام به العديد من العلماء سواء من المغرب (24) أو من المشرق - أثناء الحرب العالمية الأولى - لفائدة ألمانيا وتركيا .

فلقد كان أولئك جميعاً « يعملون في الآستانة ، وفي أوروبا على إعداد حملات تحريرية مسلّحة ضدّ الاحتلال الإيطالي والفرنسي في المغرب العربي ،

C.N.U.D.S.T, Tunisie Guerre 1914 — 1918, Mustapha el Kefi au Ministre des affaires (23)

étrangères à Paris, le 8/1/1916, Carton 1663, bobine P.79 9/1915 — 5/1918, f 47

(24) يمكن الإشارة الى ما قام به من تونس كلّ من صالح الشّريف ، اسماعيل الصّفايحي ، الخضر حسين وعلي ومحمد باش حابنة ، أما من الجزائر فنذكر محمد مزيان التّلمساني ، محمد الشّيبّي التّونسي ، محمد بيراز الجزائري وحمدان بن علي الجزائري . ومن المغرب الأقصى محمد العتايي ، حول نشاط هؤلاء في المهجر لفائدة تركيا أثناء الحرب العالمية الأولى ، انظر حمادي السّاحلي ، « نشاط الوطنيين التّونسيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى » ، المجلّة التّاريخية المغربية ، عدد 34/33 (جوان 1984) ،

وقد نظّموا دعاية في صفوف المغاربة المجندين داخل الجيش الفرنسي ، واتصلوا بالأسرى لدى الألمان لحملهم على التطوُّع في الحركات الجهادية التي تساندها الدولة العثمانية معنوياً وأدبياً « (25) ، بل وانتهى الأمر ببعضهم كصالح الشريف واسماعيل الصفايحي (من تونس) إلى تأسيس « لجنة استقلال الجزائر وتونس » في برلين سنة 1916 .

وفي إطار التّوظيف التركيّ الألماني لبعض علماء المسلمين المناهضين للحلفاء ، وبطلب من غليوم الثاني أرسلت الحكومة العثمانية إلى ألمانيا شخصيّتين هامّتين من دمشق هما الشيخ أحمد الكسباري والأمير علي باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري وقد جاءا خصيصاً لإقناع الأسرى المغاربة بالتحوّل إلى القتال في صفوف الألمان ، وقد كان لما قالاه الأثر العميق في صفوف الأسرى الشماليّين إفريقياً (26) .

لقد ركّزت الدّعاية الألمانية على اتّهام فرنسا بعدم احترامها لمشاعر المسلمين وشعائرهم الدّينية وتعاليم دينهم ، لإثارة المسلمين ضدّها ، وإقناع أولئك الأسرى في محتشداتها على ضرورة القتال الى جانبها ضدّ فرنسا وحلفائها ، وهو ما حتّم على هذه الأخيرة القيام - من جانبها - بدعاية دينية مضادّة للحدّ من تأثير الدّعاية الألمانية ، كسباً منها - هي الاخرى - لودّ المسلمين وولائهم خدمة لمصالحها .

فما كان منها إلّا أن ردّت على القائمين بالدّعاية الألمانية من علماء المسلمين بتوظيفها لعلماء مسلمين آخرين ، وخاصّة الأيّمة الذين جاءت بهم

(25) أبو القاسم محمد كرو ، أعلامنا ، محمد الخضر حسين ، تونس ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، 1973 ، ص 24 .

(26) A.G.T., Traduction d'un article paru dans le journal arabe du caire «Les pyramides» (26) (Mars 1915), Mobilisation 1914, E 440 — 18/38

بتعلّة الإحاطة بالجرحى من الجنود المسلمين ، فأصبحوا أحسن وسيلة للدّعاية وتمجيد الحكومة الفرنسية في خطبهم الجمعية ومحاضراتهم ودروسهم والمناسبات الدّينية :

من ذلك أنّه بعد تسلّم الأيّمة الملحقين بالحكومة العسكرية بباريس - يوم 14 أفريل 1915 لمسجد Nogent sur marne بالبستان الاستعماري * وعلى إثر صلاة الجمعة التي أقيمت به ، توجّه المصلّون بإمامة الشيخ بومزراق المقراني « إلى الله السّميع العليم بقلوب خاشعة ، ورقاب خاضعة ، طالبين منه تعالى النّصر لدولتهم فرنسا وحلفائها ، وخذل ألمانيا الوحشية وإيادتها . . . ، قائلين : نحن أولاد فرنسا ، جئنا من أوطاننا باختيارنا متطوّعين ، ندافع عن شرف أمّتنا فرنسا المتمسّكة بالحقّ ، السّائرة على نهج الاستقامة والعدل . . . » !! (27) .

ومن مظاهر توظيف الإطار الدّيني الموجود على الجبهة نشير كذلك الى أنّه بطلب من الجرحى المسلمين وأيّتهم بالجامع المذكور ، التّأم يوم 25 نوفمبر 1918 حفل ، تمّ خلاله سرد أدعية ، وأداء صلاة الشّكر لله الذي أنعم على فرنسا بالنّصر في حربها (28) .

Le jardin colonial *

C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, Carton 1663, bobine P. 79, 9/1915 — 5/1918, f, 66 (27)

انظر الملحق رقم 1

Ibid, Afrique 1918 — 1940, Télégramme du Ministre des affaires étrangères aux (28)

Residents généraux à Tunis Rabat, et au gouverneur général de l'Algerie, le

26/11/1918, Carton 38, bobine 539, doss. 1, 5/1918 — 7/1919, f. 121

على أنّ ذلك التّوظيف « لرجال الدّين » قد شمل أيضا بعض مشائخ الطرق الصّوفية ممّن تطوّع منهم إلى جانب الجيوش الفرنسيّة في الحرب العالميّة الأولى (29) .

كما تمّ توظيف الأيّمة في الرّد على الدّعاية الألمانيّة بنقض ما ورد في بعض المنشورات الألمانيّة ودحض ما احتوت عليه قصد الحدّ من تأثير محتوياتها على الجنود المسلمين .

ذلك أنّ برلين كانت « تشنّ دعاية تسميم على خطوط النّار ببلاغات إذاعية باللّغة العربيّة ، كما كانت ترسل - سرّاً إلى الأسرى - كتباً

(29) من الجزائر نشير إلى المسمّى إبراهيم بن الحاج محمد بن بلقاسم أخ شيخ زاوية الرّحمانية بالهامل (الجزائر) الذي تطوّع - طيلة الحرب - ضمن فيلق الصّبايية الجزائريّين ، وقد قام بزيارة عدّة مراكز يوجد بها جرّحيّ من المسلمين للرّفيع من معنوياتهم ، كما أنّه في كلمته أمام رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة يوم 16 نوفمبر 1914 مجّد انجازات فرنسا ، وعبر عن تعلّق المسلمين بها ، ونذّر في المقابل بتركيا « عدوة العرب منذ القدم » على حدّ قوله (انظر C.N.U.D.S.T., Guerre 1914 — 1918, le Ministre des affaires étrangères, le 20/11/1914, Carton 1664, bobine de la guerre au Ministre des affaires étrangères, le 20/11/1914, Carton 1664, bobine 76/1915, f. 80, P. 80, 7/1914 — 7/1915, f. 76). أمّا في كلمته أمام جنود التّيرايبور بأرلز Arls فقد ورد قوله : « إنّ الحرب التي نخوضونها ضدّ ألمانيا هي حرب مقدّسة ، وبحملهم للسّلاح من أجل فرنسا ، فإنّ المسلمين يدافعون عن مصالح دينهم ، وشرف عائلاتهم . وسلامة البلاد الاسلاميّة » (Ibid, Note datée du 6/2/1915, f. 182). أمّا أمام « الفرسان Les gousmiers » بتراسكان Taras-can وبوكار Beaucaire فقد قال : « لا يجب أن نفرّق بين الألمانيّ والتركّي ، فهذا الأخير - حليف الأوّل - أحقر وأذلّ منه » (Ibid, f. 183). أمّا من تونس فنذكر محمد الشّريف التّيجانيّ - ابن شيخ زاوية التّيجانيّة ببوعرادة - الذي تطوّع منذ سبتمبر 1914 ، وقد عملت السّلط العسكريّة الفرنسيّة على الاستفادة من وجوده على الجبهة باستغلال نفوذه الدّينيّ على الجرّحيّ من المجنّدين التونسيّين ، حيث زار العديد من دور النّقاهاة حاثّاً لهم على التّضحية من أجل فرنسا ، انظر ذلك في مقالنا ، « أضواء على حياة محمد الشّريف التّيجانيّ ومن خلاها أوضاع المحليّين في تونس خلال الثّلث الأوّل من القرن العشرين » ، المجلّة التّاريخيّة المغربيّة ، عدد 56/55 (ديسمبر 1989) ، ص 137 - 168 ، ص 154 .

ومجلات « (30) نذكر منها كتيباً بعنوان « الإسلام في الجيش الفرنسي ، حرب 15 - 1914 » * من تأليف المدعو الحاج عبد الله (31) .

وللردّ على ما احتوى عليه ودخض ما ورد فيه ، أوكلت السلطات الفرنسية الأمر إلى الاماميين المقراني وعبد الرحمان القطرانجي تحت إشراف وزارة الحرب الفرنسية ، مع العلم وأنّ العدد الضّروري من نسخ الردّ المذكور الضّرورية للترويج في كلّ المستعمرات - قد حدّد بخمسمائة نسخة ، وهو عدد اعتبر كافياً للقيام بدعاية مضادة (32) .

كلّ هذه الأمثلة توضّح - كما أسلفنا - الغاية الحقيقية التي استقدم من أجلها أولئك الأئمة ، وقيامهم بدورهم على أحسن وجه .
ومما يؤكّد ما ذهبنا إليه ، ويكشف عن أهميّة الدور الذي قام به أولئك الأئمة الموفدون أنّ فرنسا عمدت الى مكافأتهم تقديراً منها لدورهم وإكباراً لمجهوداتهم (33) .

Arnoulet, op. cit p. 53

(30)

* «L'Islam dans l'armée Française, Guerre 1914 — 15»

C.N.U.D.S.T. Guerre 1914 — 1918, Le Ministère des colonies au Ministre des affaires (31)

étrangères, le 19/7/1916, Carton 1657, bobine P. 77,3/1915 — 12/1916, f. 36

Ibid (32)

(33) من ذلك أنّ عبد الرحمان القطرانجي الذي كان يشغل خطّة عدل بالمحكمة المالكية بمدينة الجزائر قد

طلب تعيينه قاضياً بمحكمة بوية بمقاطعة الجزائر انظر : C.N.U.D.S.T Guerre 1914 — 1918

Note datée du 26/4/1917, Carton 1668, bobine P 81, 1/1917 — 4/1918, f — 176

عارضه الحاكم العام للجزائر بدعوى أنّ مستواه الثقافي لا يسمح له بذلك (انظر Ibid, le

Le Gouverneur general de l'Algérie au Ministre des affaires étrangères, le 28/5/1917,

Ibid, (chevalier de la légion d'honneur) Note au Ministre des affaires étrangères, le 12/8/1917, f 128

Ministre de la guerre, le 8/1/1918, Carton 1669, bobine P. 81, 10/1917 — 4/1918, f. 87)

أما بومزراق فقد طلب تمكينه من أراضي بدائرة قسنطينة أوكراؤها له بثمن منخفض وهو ما وافق عليه

الحاكم العام للجزائر بشرط أن يمنح تلك الأراضي بجهة البيان ، انظر ، Ibid. Afrique ,

1918 — 1940, le Gouverneur general de l'Algérie au Ministre des affaires étrangères,

le 20/2/1920, Carton 39, bobine 540, 8/1919 — 7/1921, f. 43

* إرسال عدول إلى الجبهة : كان الجنود والمتطوعون من التونسيين قلقين على عائلاتهم وأقاربهم الذين خلفوهم وراءهم ، خاصة وأنّ عدّة أعمال لا يمكن - قضائيا - أن تباشرها تلك العائلات إلا بحضور الجندي أو المتطوع ، أو شهادة عدلية فيها تفويض من جانبه ، كشهادة التوكيل أو الطلاق أو حجة رضا الأب بعقد نكاح ابنته ، وغيرها من الشهادات التي يقع تحريرها لدى المحاكم الشرعية .

ولذلك ، وسعيًا منها لتبسيط تلك الإجراءات وتسهيلها وبالإضافة الى حرصها على حفظ المجندين والمتطوعين في أعراضهم (34) وأرزاقهم (35) ، عملت حكومة الاحتلال على إيفاد عدلين الى الجبهة لتسهيل إبرام العقود التي قد يحتاجها الجنود .

لقد اشترطت السلط العسكرية أن يكون العدلان أصيلي التراب العسكري بالجنوب التونسي حتى يكون ولاؤهما غير مشكوك فيه على حدّ قولها (36) !!

وفعلا صدر يوم 17 ديسمبر 1914 أمر علي يتعلّق بإحداث خطّة عدلين بفرنسا لقبول الشّهادات من العساكر المسلمين التونسيين المستقرّين بفرنسا .

(34) في المنشور الوزاري المؤرخ في 8 أكتوبر 1914 والموجّه الى القضاة ، ورد قوله : « إنّ كثيراً ما ترد عدّة مكاتيب من العساكر الذين تحت السلاح في التّشكي من وقوع التّحيل على زوجاتهم بإيهامهنّ أن أزواجهنّ توفّوا وذلك لحملهنّ على التّزوج بعدهم ، وحيث يلزم التّيقّظ والاعتناء بهاته المسألة فالمراد التّثبت التام فيما عسى أن يعرض عليكم من التّوازل التي من هذا القبيل ... » انظر A.G.T., G., circulaires militaires (1914), doss. 20

(35) في المنشور الوزاري المؤرخ في 8 جوان 1915 والموجّه الى القضاة ورد قوله : « بلغ الوزارة أنّ بعض العساكر التونسيين الذين هم الآن تحت السلاح تنجّر إليهم بالإرث منابات تمن يتوقّى من أقاربهم ... ، ويستولي عليها أقاربهم .. ، فالمطلوب حفظ حقوق أولئك العساكر حتى عودتهم ... » ، A.G.T.G circulaires militaires (1914) doss. 20

وقد نصّ الفصل الأول - من الأمر المذكور - على تعيين الفقيهيّن العدلين الجيلاني بن بلقاسم بوجافة من جرجيس (عمل ورغمة) ، وأحمد بن محمد ميلود من قبلي (عمل نفزاوة) ، في حين نصّ فصله الثاني على أنّ مهمّتهما تتمثّل في تحمّل الشّهادات التي تُعرض عليهما ، والحجج التي يلزمها ختم قاض ، كوثائق الوفيات ونحوها ، يُتمّانها على ما تقتضيه القواعد الشرعية ويصحّح أحدهما في محلّ الختم علامة على صحّتها وإتمام موجبها الشرعي ، وتكون بموجب ذلك عاملة كحجّة صحيحة شرعية (37) .

أمّا الفصل الثالث فقد نصّ على أنّها « يسكان دفترًا واحدًا من دفاتر أعمال الشّهود ، يسلمه لهما قسم الوزارة الكبرى » ، يقيدان به الشّهادات المذكورة ، ويمضي كلاهما عليها بالدفتر المذكور ، ويكون ذلك الدّفاتر والحجج التي تكتب به والمسلمة لأربابها معفاة من أداء التّأنيب والتّسجيل ، ما عدا تسجيل النّقل بالوفاة أو بغيره وبدون أجر على كتابتها ، حيث خصّص للعدلين المذكورين مرتّب شهري عمّا ذكر » (38) .

وتطبيقا لذلك تحوّل العدلان المذكوران - منذ جوان 1915 - ليستقرّا في آرلز * حيث توجد مستودعات الفيلق الرابع والثامن من التّيرايور (39) بالجهة الخامسة عشرة .

(37) « أمر علي يتعلّق بإحداث خطّة عدلين بفرنسا لقبول الشّهادات من العساكر المسلمين التّونسيين المستقرّين الآن بفرنسا » الرّائد التّونسي ، عدد 112 ليوم 19 ديسمبر 1914 ، ص 1 .

(38) نفس المصدر

Arls *

Arnoulet, op.cit, p. 54

(39)

أما عن جرايتها التي كانت تتحملها ميزانية البلاد التونسية (40) ، فقد حدّدت في البداية بمائتي فرنك في الشهر ، ثم وقع الترفيع فيها إلى مائتين وخمسين ابتداء من غرة أكتوبر 1915 ، ثم إلى أربعمئة فرنك من غرة ماي 1918 ، كما خصّصت لهما منحة غلاء المعيشة منذ بداية جانفي 1919 (41) .

لقد كان للخدمات التي قدّماها فائق التقدير والاعتبار من طرف السّلط العسكرية الفرنسية ، حتّى أنّ وزير الحرب الفرنسي اقترح مكافأتها بصفة رمزية ، كمنحها La Concession des Palmes académiques (42) ، في حين رفض منحها La médaille de la Reconnaissance Française - رغم اعترافه بأهميّة ما قدّمناه ، معتبراً أنّ ما تقاضاه كلّ منهما - مقابل تلك الخدمات - يفوق بكثير ما كان يمكن له أن يجنيه لو بقي في بلاده (43) ، مع العلم أنّ العدل الجيلاني بن بلقاسم قد غادر نهائياً آرلز يوم 27 جوان 1919 ، في حين غادرها أحمد بن محمد يوم 12 ديسمبر من نفس السّنة (44) .

2) بناء المساجد :

عمدت السّلطات الألمانية في « محتشد الهلال » * بفنزдорف * قرب زُوسن * - على بعد ثلاثين كلم تقريباً من برلين - إلى بناء مسجد (45) ،

C.N.U.D.S.T, Afrique 1918 — 1940, Le R.G. au Ministre des affaires étrangères, le (40) 6/6/1919, Carton 38, bobine 539, doss 1, 5/1918 — 7/1919, f 213.

Ibid, du même au même, le 20/12/1919, Carton 39, bobine 540, 8/1919 — 7/1921, f.32 . (41)

Ibid, du même au même, le 16/11/1919, f . 21 . (42)

Ibid, le Ministre de la guerre au Ministre des affaires étrangères, le 7/1/1920, f . 34. (43)

Ibid, f . 7 (44)

Le Camp du Croissant *

Wunsdroff *

Zossen *

Ageron, op. cit, t.2, p. 1178. (45)

وذلك بإذن من إمبراطور ألمانيا نفسه قصد تمكين الأسرى المسلمين من أداء شعائر دينهم في نفس الظروف التي يؤدونها فيها في بلدانهم (46) .

وقد وقع تدشينه ليلة دخول شهر رمضان في 14 جويلية 1915 بحضور سفير تركيا في برلين .

وقد ألقى ضابط سام ألماني - بالمناسبة كلمة باسم إمبراطور ألمانيا أوضح فيها أن « بناء ذلك المعلم في بلد أجنبي ينم عن التقدير الخاص الذي يكّنه جلالة الإمبراطور للشعوب الإسلامية ... » (47) .

أمّا محمد الخضر حسين (ت . 1958) فقد ألقى - بنفس المناسبة - كلمة مجّد فيها الأمة الألمانية والامبراطور غليوم الثاني (48) ، ومما ورد فيها قوله : « إنّ من جملة أعمال ألمانيا تأسيسها لهذا الجامع : فهذا المبنى رغم أنه لا يحتلّ إلاّ مساحة محدودة من التراب الألماني ، فإنّ له - في قلوبنا - ضعف مساحته ... ، وفي الوقت الذي يتذكّر فيه إخواننا الجزائريون أنّ فرنسا حولت جامع صالح باي بقسنطينة ، والجامع الكبير بعنّابة إلى ثكنة تحشد فيها جنودها ، فإنهم سيّدركون الفرق بين من يبني فوق أرضه مسجداً جميلاً كهذا ، وبين حكومة لا همّ لها إلاّ القضاء على الإسلام ومؤسساته ... » !! (49) .

C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, «perspectives sur l'avenir des musulmans (46) algeriens», le 15/3/1916, Carton 1656, bobine P.77, 3/1916 — 6/1916, f . 55

Ibid

(47)

Ibid, Afrique 1918 — 1940, Note datée du 17/3/1920, Carton 17, : انظر نصّها الكامل في : (48) bobine 533, dossier 1, 6/1918 — 8/1921, f . 154 — 156.

Ibid f . 155 — 156

(49)

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى 191

كما أنّ المسجد المذكور يقع داخل معسكر أقامت السلطات الألمانية بداخله « حمامات عربية على النمط الشرقي ، وكذلك مقاهي عربية ، وأماكن نظافة تمكّن الأسرى من الوضوء لكل صلاة » (50) .

وتبعاً لتلك الدعاية الألمانية المكثفة خاصة على الجبهة ، كان على فرنسا أن تردّ بسرعة بإجراءات مماثلة من شأنها أن تشدّ إليها ولاء المسلمين وتعلّقهم بها ، فتمّ إقرار تشييد جامع ضخّم - في باريس - شبيه - بالتحديد - بذلك الذي شُيّد في برلين بأمر من الامبراطور الألماني (51) .

ورغم أنّ فكرة تأسيس جامع في باريس تعود الى نهاية القرن التاسع عشر حيث قُوبلت بمعارضة المعمّرين المناهضين للأهالي حيث ما وجدوا ، فإنّ « اندلاع الحرب ، وحاجة فرنسا الأكيدة الى حماية المسلمين من تأثير الجامعة الإسلامية الجرمانية الأصل أصبح بناؤه متأكّداً خاصة وأنّ فرنسا تحمي حوالي خمسة عشر مليوناً مسلماً ، بالإضافة الى ولاء المسلمين بالجزائر ، تونس والمغرب ومسلمي إفريقيا الغربية ، ومساهماتهم في الدفاع عن الأرض الفرنسية ... » (52) .

Ibid, Guerre 1914 — 1918, le Lieutenant el Hadj Abdallah, «L'Islam dans l'armée Française (Guerre 1914 — 1915)», Carton 1655, bobine P. 76, 9/1915 — 2/1916, f.115 — 116, f. 116.

Ibid, Lettre au président du conseil, le 22/1/1916, f. 97. (51)

Ibid, P. Bourdarie, «Une mosquée à Paris», le 15/2/1916, Carton 1659, bobine P. 78, (52) 10/1915 — 2/1916, f. 181.

لكلّ تلك الاعتبارات وقع - منذ بداية الحرب - وضع مبنى البستان الاستعماري بينوجون سورمارن * من طرف وزارة المستعمرات على ذمة وزارة الصحة التي حولته الى مستشفى (53) .

وبمقتضى القرار الوزاري المؤرخ في 4 ديسمبر 1914 ثم تخصيصه للجرحى من المسلمين بعد أن وقع تجهيزه بكلّ الوسائل الضرورية (54) .
وداخل المستشفى المذكور الكائن في وسط غابة فانسان - بالقرب من باريس - تقرّر بناء جامع يمكن الجرحى المقيمين به من أداء شعائهم ، وقد عهد بالسهر على ذلك للإمام بومزراق المقراني ، حتّى يكون المبنى مُستجيباً - من حيث اتجاهه ومكوّناته - إلى كلّ مقتضيات الشرع الإسلامي (55) .
ولإتمام إنجازها تطوّعت مدينة باريس بقطعة الأرض التي سيقام عليها ، في حين كانت الموارد المالية اللازمة لإتمام البناء متأتية من مساهمات كلّ من :

الجزائر	25.000 فرنك
تونس	15.000 فرنك
المغرب	20.000 فرنك
إفريقيا الغربية الفرنسية	10.000 فرنك

* Le jardin colonial à Nogent sur marne

A.G.T., Note à propos de la mosquée du jardin colonial à Nogent-sur Marne (sans date), D 70 — 8.

(54) حول تلك التجهيزات المتوفرة فيه أنظر C.N.U.D.S.T., Guerre 1914 — 1918, Le Ministre des colonies au Ministre des affaires étrangères, le 10/11/1915, Carton 1663, bobine P. 79, 9/1915 — 5/1918, f. 7 — 28.

A.G.T., Note à propos de la mosquée du jardin colonial à Nogent- sur Marne, D (55) 70 — 8.

موارد مختلفة	80.000 فرنك
موارد المسلمين الفرنسيين	250.000 فرنك
الجملة :	400.000 فرنك (56)

كما أنّ وزارات الشؤون الخارجية ، والحرب ، والمستعمرات ساهمت - كلّ واحدة منها - بإعانة قدرها 4.000 فرنك (57) .

أمّا من حيث التّصميم فيحتوي - من جهة المدخل الرّئيسي - على ساحة رئيسية عرضها 30 م وطولها 54 م مبلّطة ، محاطة بأروقة ، وفي وسطها نصب تذكاري ونافورة ، بالإضافة إلى ملحقات وقباب ، ومحراب ، ومنبر ، وتدفة مركزية ، وإنارة ، وتهوئة وفقا للظّروف المناخية ، إلى جانب مكتبة إسلامية وحديقة ، وغرف لإقامة الإمام والحراس ، وتحيط بالكلّ حواجز وغراسات (58) .

وبفضل المؤازرة المجانية من طرف المهندس المعماري بيبي ، والرّسامين والفنّانين الذين ساهموا معه في زخرفة البناء أمكن الانتهاء من بنائه في أقلّ من شهرين ، وقد وفّرت « مغازات اللّوفر السّجاد والبُسط التي تغطّي الجدران ، في حين أهدي سلطان المغرب زربية ، وساهم الأبيتيت - المقيم العام الفرنسي

C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, P. Bourdarie, «Une mosquée à Paris», le (56) 15/2/1916, Carton 1659, bobine P. 78, 10/1915 — 2/1916, f. 183.

A.G.T., Lettre au R.G. de Tunisie, Paris, le 7/6/1919, p.1, D 70 — 8. (57)

C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, «Edification d'une mosquée à Paris : description (58) sommaire de l'edifice», Paris, le 22/9/1916, Carton 1661, bobine P.79, 12/1914 —

5/1918, f. 14 — 139.

بتونس آنذاك - بقنديل صغير ومباخر كما ساهم لوطو - الحاكم العام للجزائر - بحصائر جميلة منسوجة من القصب ومتأتية من تلمسان ، والجنرال ليوطي - المقيم العام الفرنسي آنذاك بالمغرب الأقصى - بقنديل من النحاس المنقوش ، كما ساهمت « جمعية مساعدة الجرحى المسلمين » * بزرية صلاة وقنديل للمحارب (59) .

وفي الواقع ، فإنّ الجامع المذكور لا يعدو أن يكون بناء هشاّ ذا صبغة أساساً ظرفية ، تمّ إنجازها في ظرف عدّة أسابيع وبموارد محدودة (60) ، ورغم ذلك فقد استغلّت فرنسا فرصة إنجازها للقيام بدعاية واسعة النطاق بين المسلمين :

فإنّ كان مسجد « محتشد الهلال » قرب برلين يُزار باستمرار من طرف صحافيين أتراك ، وشخصيات فارسيّة ومصريّة ، فإنّ جامع البستان الاستعماري - قرب باريس والذي بني على هيئة المساجد الإسلامية داخلاً من حيث اتجاه محرابه نحو القبلة ، وتجهيزه بكلّ وسائل الطهارة المطلوبة شرعاً (61) - قد وقع افتتاحه يوم الجمعة 14 أفريل 1915 بحفل حضره جرحى المسلمين الموجودون بالمؤسسات الاستشفائية المجاورة ، وقُدّمت لهم فيه « جمعية مساعدة الجرحى المسلمين » « مأدبة فاخرة » ، بأشهى

* La société d'assistance aux blessés musulmans.

A.G.T., Lettre de Paris au R.G. de la republique Française à Tunis, le 7/6/1919, (59) D 70 — 8.

(60) إنّ ما يؤكّد ذلك هو أنّه منذ سنة 1919 أصبح في حاجته أكيدة إلى الترميم للحيلولة دون انهياره . حتى أنّ الإبقاء عليه حتى يتمّ بناء جامع باريس سنة 1920 - كان يتطلّب توفير ما لا يقلّ عن 4000 فرنك

قصد ترميمه . انظر : A.G.T., Le directeur du jardin colonial au Minitre plenipotentiaire attaché au cabinet du Ministre des affaires étrangères, le 27/5/1919, D 70 — 8.

(61) أنظر التوضيح الموجود بأسفل رسم الجامع المذكور بالملحق رقم 2

وألذّ المآكل العربية الإفريقية كالكسكسي والشّواء والكباب ، وأنواع الحلويات الجزائرية كالمقروض وغيره... » (62) .

لقد عملت الحكومة الفرنسية على استغلال الجامع المذكور وتوظيفه في تدعيم ولاء المسلمين لها حتّى تظهر بمظهر المحافظ على دينهم ، والحريص على تمكينهم من أداء فرائضه حتّى خارج بلدانهم ، كلّ ذلك - كما أسلفنا - « لتحّد من دعاية الأعوان الألمان الذين لاهمّ لهم [في نظر الفرنسيين] إلّا إثارة المسلمين ضدّ الدّولة الحامية ... » (63) .

لذلك عمدت إلى الدّعاية لذلك الانجاز الذي شيّدته بـ :

* أخذ صور فتوغرافية له قصد تروييحها ، حيث جعلتها في شكل عشرة أنواع من البطاقات البريدية ، سحبت منها خمسين ألف بطاقة أعدّت خصيصاً لتوزيعها بين الجرحى من المسلمين ، مع العلم أنّ البطاقات المذكورة - والتي تحمل كتابة بالعربية - تمثّل داخل الجامع المذكور وخارجه ، والزّربية المهداة له من طرف سلطان المغرب الأقصى ، وكذلك صوراً للمسجد من زوايا مختلفة ، وقد تطلّب كلّ ذلك مبلغ ألف وخمسمائة فرنك (64) .

وتعميماً للتعريف بذلك الإنجاز ، وحرصاً من فرنسا على تبجّحها به لدى سكّان مستعمراتها ، بادر المقيم العام الفرنسي بالبلاد التّونسية إلى مدّ باي تونس بصور لجامع البستان الاستعماري ومختلف تجهيزات المستشفى الواقع

(62) انظر الملحق رقم 1

Jed «Érection d'une mosquée et d'un hôpital dans le jardin colonial de Nogent sur (63)

Marne», **La Tunisie illustrée**, n° 119, du 20/2/1916. P. 6.

C.N.U.D.S.T. Guerre 1914 — 1918, Note pour le sous-directeur — chef du service de (64)

l'afrique occidentale et de l'Afrique équatoriale, le 7/11/1916, Carton 1661, bobine

P. 79, 12/1914 — 5/1918, f. 147.

فيه ، « فأبدي سموه تأثره لتلك اللقطة الكريمة من قبل الحكومة الفرنسية التي أرسلت صوراً منه أيضاً الى شريف مكة وسلطان المغرب الأقصى ... » (65) .

لقد كان لتلك « الصور الانطباع الحسن لدى كل الجرحى من المسلمين ، وفي كل أنحاء العالم الإسلامي - على حدّ قول السلطات الفرنسية - ، حتى أنّ شريف مكة وسموّ باي تونس أرسلتا بهمايهما الحارة إلى وزارة المستعمرات ... » !! (66) .

وإمعاناً في الدعاية تمّ وضع آلات سينمائية - في المستشفيات العسكرية بـ كازيار سوبوا* وموازال ، وكذلك في مستشفى البستان الاستعماري - وذلك لتصوير أشرطة تصوّر الحياة اليومية للجرحى من المسلمين ، حتىّ تعلم عائلاتهم - على حدّ زعم السلطات الاستعمارية !! - بمدى العناية التي يحاط بها أبناءها ، مع العلم وأنّ تلك الأشرطة أرسلت إلى كلّ من تونس والمغرب الأقصى قصد عرضها على الأهالي هناك ، وهي مبادرة حظيت من قبلهم برواج كبير ، حتىّ أنّ الجنرال ليوطي - الذي كان يعرض أشرطة دعائية بين قبائل المغرب الأقصى الحديثة العهد بالخضوع للاستعمار الفرنسي - طالب بتمكينه من وسائل عرض إضافية !! (67) .

* الدعاية للجامع المذكور عن طريق الصحف : فلإعطاء أكبر قدر من الدعاية - بين المحليين للجامع المذكور ، وقع مدّد العديد من الصحف بصور

Ibid, Le R.G. de France en Tunisie au Ministre des affaires étrangères, Carton 1668, (65) bobine P. 81, 1/1917 — 9/1917, f. 167.

A.G.T., Lettre de Paris au R.G. de France à Tunis, le 7/6/1919, D 70 — 8. (66) Carrières-sous-bois et Moisselles

* C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, Note émanante de Paris, datée du 10/12/1917, (67) Carton 1669, bobine P. 81, 10/1917 — 4/1918, f. 61 — 62.

فتوغرافية عنه لنشرها : من ذلك أنّ الكاتب العام للحكومة التّونسية أطلع جريدة الزّهرة على « رسم المسجد الذي تمّ بناؤه على أبداع أسلوب ، فإذا هو - على حدّ قولها - على شكل الجوامع الإسلامية بزيادة تحسين فنيّ في واجهته الخارجية ، أمّا منارته فهي على شكل المنائر الأندلسية . ذات الأربعة أضلاع ، وتحفّه من كلّ جهاته الأشجار والغروس بما ترتاح له المهبّج والنّفوس ... ، فجاء بُرْهاناً قاطعاً من الحكومة الفرنسية على عنايتها بالمسلمين التّابعين للدّولة الجمهورية ... » (68) .

كما خصّصت مجلّة « تونس المصوّرة * بمقال مرفوق بصورة له ، أشادت فيه بذلك الإنجاز الضّخم الذي - على حدّ قولها - « مكّن اتباع محمد من أداء شعائرتهم عند ما ينادي المؤذن من أعلى الصّومعة معلناً عن وقت الصّلاة . . ، وقد كان لتلك المبادرة الأثر الطيّب لدى المسلمين الذين وقفوا مرّة أخرى على مدى العناية التي تخصّص بها فرنسا الأهالي ، والتّسهيلات التي تضعها أمام أدائهم لشعائر دينهم ... » (69) !!

أمّا جريدة أخبار الحرب (70) - التي تروج بكثرة في كلّ أنحاء الجزائر ، كما كانت ترسل منها عدّة نسخ إلى كلّ من تونس (71) والمغرب

(68) «مسجد باريس» جريدة الزّهرة ، عدد 2492 ، ليوم 4 مارس 1916 ، ص 2 .

La Tunisie illustrée

*

Jed, «Érection d'une mosquée et d'un hôpital dans le jardin colonial de Nogent-sur-Marne», La Tunisie illustrée, n° 119, du 20/2/1916 p. 6.

(70) جريدة بالعربية تصدرها الحكومة العامّة . تعطي أنباء تتعلّق فقط بالحرب . وقد تميّزت بتمجيدها - المبالغ فيه - للحكومة الفرنسية ، وخاصة ضعف أسلوبها ولغتها لاعتمادها على من ليس لهم إلمام ودراية

كاملين باللغة العربية . انظر . . . Ageron, op.cit. t.2, p. 1177.

(71) أمكننا الإطلاع على عدد لا بأس به من الأعداد الموجودة بقسم الدّوريات بالمكتبة الوطنية بتونس ، في حين لا وجود لها بمركز التوثيق القومي .

وطرابلس الغرب - فقد أوردت صورة له في صفحتها الأولى وخصّته بمقال مطّول (72) اعتبرت فيه أنّ الجامع المذكور « جاء شاهداً جديداً على حسن عناية الحكومة بالعساكر الإسلامية ... » (73) !! .

كما تناقلت أصداء بنائه جريدة *La Dépêche Marocaine* ، وجريدة « المحبة الإسلامية »* (74) الباريسية ليوم 10 فيفري 1916 .

كلّ ذلك يكشف بوضوح حرص السّلاطات الفرنسية على الحدّ من تأثير الدّعاية الألمانية ، والتّدليل - للمسلمين - على احترامها لعقيدهم ، وتمكينها لهم من كلّ ما من شأنه أن يعينهم على القيام بما يتطلّبه منهم دينهم ، كلّ ذلك خدمة لمصالحها قبل أيّ شيء آخر .

3) مراعاة المبادئ الإسلامية في تغذية العمّال والمجنّدين :

إنّ انتقال عشرات الآلاف من المسلمين إلى فرنسا من شأنه أن يثير إشكالاً حول تغذيتهم التي حرصت السّلاطات الفرنسية على أن تكون وفقاً للشريعة الإسلامية . ففيما يتعلّق بالأعراف الذين يشغلون عمّالاً مسلمين حدّدت عدّة شروط تتعلّق بتغذيتهم ، حيث نصّت على منّ أولئك

A.G.T., Le Gouverneur général de l'Algérie au Ministre de l'intérieur Français, le (72) 14/2/1916, D 70 — 8.

(73) « الجرحى المسلمون في باريس ، بناء جامع » ، جريدة أخبار الحرب ، عدد 68 ، ليوم 12/3 ، 1916 . ص 4 .

Les Amitiés Musulmanes

*

(74) جمعية تأسّست في باريس في أواخر سنة 1915 ، تهدف إلى « التّحاب والمودة بين الفرنسيين والمسلمين ، أنشأت لها جريدة « المحبة الإسلامية Les Amitiés musulmanes » بالعربية والفرنسية صدر عددها الأوّل يوم 15 ديسمبر 1915 وبه يوجد القانون الأساسي للجمعية المذكورة ، أنظر ، C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, Carton 1661, bobine P. 79, 12/1914 — 5/1918,

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى 199

« المستأجرين وأعوانهم من تقديم الكحول أو أي نوع من المشروبات الكحولية لأولئك العمال ، وكلّ مستأجر يخالف تلك التعليمات يسحب منه أولئك العمال ، ولا يمكن له الحصول على آخرين ... » (75) .

أما بالنسبة إلى المأكل فقد نصّت الشروط المذكورة على تحجير لحم الخنزير وشحمه ، حتّى يكون الغذاء - في حدود الإمكان - موافقا لمزاج أولئك الأفارقة (76) :

من ذلك - مثلا - أنّه بالنسبة الى العمال بجهة الهافر * كان هناك مسلخ صغير ومغارة لبيع اللحم المذكى طبقاً للشرع الإسلامي !! ، كما وقع تحجير القمار ، لكن رغم ذلك كانت هناك تجاوزات تكون عقوبتها - في حالة تكرّرها - الطرد من المعمل (77) .

أما بالنسبة إلى الجرحى من الجنود المسلمين ، فإنّ عدّة إجراءات تمّ اتّخاذها حتّى تكون تغذيتهم طبقا لتعاليم دينهم ، فذهبت السلطات الفرنسية

(75) **Ibid**, cahiers des charges, des clauses et conditions relatives à la mise à la disposition de l'agriculture les ouvriers de l'Afrique du nord, Carton 1509, bobine P. 58, 8/1916 —

4/1917, f. 145 — 146, f. 145.

Ibid

(76)

Le Havre

*

(77) **Ibid**, Rapport sur le fonctionnement du bureau annexe des affaires indigenes au Havre pendant le 2^e semestre de 1917, Carton 1510, bobine P. 58, 5/1917 — 5/1918.

f. 242-252, f. 245-246.

إلى حدّ جدولة الأعياد الدّينية عند المسلمين ، وإعطاء التّعليمات اللاّزمة لتمكين المجنّدين من إحيائها (78) .

وبالنّسبة الى الوجبات الغذائيّة فقد وقع تحجير لحم الخنزير وشحومه ، وكذلك الخمر الذي لم يسمح به إلّا لأولئك الذين تعودوا على شربه ، ويأتي تمكينهم منه إجتنباً لكثرة إلحاحهم عليه ، لكن لا يمكن بحال تقديمه إلّا للذين يطلبونه ، هذا على أن يحتوي جدول الأطعمة * على الكسكسي التّقليدي ، والشّواء بمناسبة الأعياد (79) .

وتطبيقاً لتلك الإجراءات فتح « مقهى يوزّع المشروبات العادية ، أمّا الوجبة الغذائيّة فتحتوى على قطعة من لحم البقر أو الضّأن ، وصحن من الخضر ، اللّوبية ، العدس ، البطاطة ، الحمص ، أو العجين . . . مع العلم أنّ الطّبخ يتمّ باستعمال الزّبدة عوضاً عن شحم الخنزير الذي تحرّمه الشّريعة الإسلاميّة . . . » (80) .

ويوم الجمعة تقدّم إحدى الجمعيات « للعساكر الافريقيين كسكسا . . . ، كما توفرّ فونوغرافا يحتوي على أدوار عربية جميلة ، هذا إلى جانب آلات موسيقية عربية كالربّابة . . . » (81) .

A.G.T., Le Président du Conseil - Ministre de la guerre - aux généraux Gouverneurs (78) militaires de Paris et de Lyon, aux généraux commandants les Régions 3 à 13, 15 à 18, 20 et 21, au général commandant en chef des troupes Françaises de l'Afrique du Nord, le 14/2/1918, Mobilisation 1914, E440-18/37.

Le menu

*

Ibid

(79)

C.N.U.D.S.T., Guerre 1914-1918, Raymand-président de la société « la solidarité (80) Franco-musulmane » au prefet de police, le 20/2/1917, Carton 1661, bobine P. 79, 12/1914 — 5/1918, f. 176-184, f. 179-180.

(81) « موسيقى وكسكسي وفهوة » ، جريدة المحبة الإسلامية ، عدد 1 ، ليوم 10 ديسمبر 1915 ،

(4) صوم رمضان :

اعتبرت السلطات الفرنسية أنّ صوم رمضان من أهمّ الفرائض عند المسلمين ، الذين إن كان بعضهم قد لا يتردّد في شرب الخمر ، فإنّ أغلبهم يصومون رمضان ، واعتباراً لذلك بادرت الى اتّخاذ بعض الاجراءات . إنّ المعلومات المتوفرة حول هذا الموضوع تتوزّع حول ثلاثة محاور يتعلّق :

* أولها بتحديد بداية شهر رمضان : يبدو أنّ ذلك بقي مرتبطاً بالبلاد التونسية التي بعد رؤية الهلال فيها يُبرق إلى الاطار الديني على الجبهة : ففي رسالة إلى القاضي المالكي - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، أوضح الجليلاني بوحافة - السابق الذكر - أنّه « بناء على قرب دخول رمضان المعظم [لسنة 1915] ، واضطرارنا لمعرفة دخوله لارشاد إخوتنا العساكر الافريقية - حسب رغبتهم ، وكان من الصّعب علينا معرفة دخوله إلّا باعتبار شعبان ثلاثين يوماً - كما لا يخفي عليكم - لكثرة الضباب وتراكم السحاب بالأفق ، ولذلك يصعب علينا رؤية الهلال ، وعليه فالمرجو من سيادتكم العلمية إعلامنا بواسطة التلغراف كسائر مشائخ قضاة الإيالة حتى يكون صوم جميعنا مبنياً على قاعدة شرعية . . . » (82) .

وفعلاً أبرق القاضي المالكي المذكور الى الجليلاني بوحافة - بتاريخ 12 جويلية 1915 - يعلمه أنّ رمضان يبتدئ يوم الثلاثاء 13 جويلية (83) ،

(82) أرشيف الحكومة التونسية ، رسالة الجليلاني بوحافة الى القاضي المالكي ، بتاريخ 24 جوان 1915 ،

انظر الملحق رقم 3 ، Mobilisation 1914, E 440 — 18/43.

A.G.T., Mobilisation 1914, E 440 — 18/43.

(83)

كما أرسل الجيلاني بوحافة - أيضا - يسأل عن بداية شهر رمضان لسنة 1917 ،
وكالعادة أ برق إليه القاضي المالكي يعلمه أنه يبتدىء يوم 20 جوان (84) .
كل ذلك يوضح أنّ المجندين المسلمين ظلّوا - في تحديدهم لبداية شهر
رمضان - على اتصال بالبلاد التونسية ، حتّى يكون صوم الجميع « مبنياً على
قاعدة شرعية » على حدّ قول الجيلاني بوحافة !! .

* ثانيها يتعلّق بالاجراءات التي اتخذتها السّلطات الفرنسية بمناسبة
دخول شهر رمضان : فمن حيث مبدأ الصّوم « منحتهم حرّية
الاختيار . . . ، فمن أراد منهم الصّوم لا يُمنع ، بل يساعد على ذلك ، ومن
كامل إنصافها أنّه لما قرب شهر الله - رمضان المعظم - بنحو أربعة أيّام ، صدر
أمر من الوزارة الحربية لكافة رؤساء المستشفيات أنّ من شاء صوم رمضان من
العساكر المسلمين له ذلك ، ويقترح من الأكل ما يحبّ ، ويجري وقت أكله
على ما عليه الصّائم من الفطر بعد تحقّق غروب الشّمس ، والسّحور آخر
الليل . . . » (85) .

وفعللاً لم تعارض تلك السّلطات مبدأ الصّوم ، بل تركت كامل الحرّية
للجنود ، وبادرت الى تسجيل الذين قرّروا الصّوم في دفتر خاص ، بشرط أن
لا يخلّ صومهم بدورهم كجنود أو عمّال (86) .

أمّا فيما يتعلّق بالتراتب الواجب اتّباعها طيلة شهر رمضان ، فقد
عمدت السّلطات العسكرية الفرنسية إلى إقرار إجراءات خاصّة بالذين يبدون

Ibid

(84)

(85) المقراني ، المفتي الكائن ببلد باريس ، « المرضى والجرحى من المسلمين في باريس » ، جريدة أخبار
الحرب ، عدد 72 ، ليوم 31 ديسمبر 1915 ، ص 4 .

Un Moghrabin, «Le jeune du soldat Français musulman», *Al-Mokattam* (journal). du (86)
28/7/1916, A.G.T., Mobilisation 1914, E 440-18/43.

رغبتهم في الصّيام ، فإذا كان الصّيام يعني الانقطاع عن المأكّل والمشرب طيلة النّهار - وجب أن تكون أوقات تناول الوجبات الغذائية منسجمة مع مقتضيات شهر الصّيام ، وذلك على النّحو التّالي :

- قهوة الصّباح تؤجّل إلى غروب الشّمس

- يقع تناول الغداء بعد نصف ساعة من تناول القهوة

- أما العشاء فيكون في حدود منتصف اللّيل (87) .

أمّا بالنّسبة لتوقيت الإفطار الذي يعرف في البلدان الإسلاميّة بالأذان - فإنّه تترك للمسلمين حرّية تحديده (88) .

كما حدّدت السّلطات العسكريّة الفرنسيّة المناسبات الدّينية التي عادة ما

يُحييها المسلمون خلال شهر رمضان - كما يلي :

- « النّصفية » وهي ليلة النّصف من رمضان

- ليلة القدر الموافقة للسّابع والعشرين منه

- العيد الصّغير أو عيد الفطر المسجّل لنهاية شهر الصّيام

وقد أعطيت الأوامر لمنح العساكر المسلمين - بتلك المناسبات - شيئاً من

الحرّية ، وفي حدود الامكان تحسين الوجبات الغذائية في اللّيلي التي تسبق تلك المناسبات (89) .

Ibid, Le Ministre de la guerre au général gouverneur militaire de Paris, au général (87) commandant la Région du Nord, aux généraux commandants les Regions de 3 à 18, 20 à 21, p. 2, Mobilisation 1914, E 440-18/43.

أنظر الملحق رقم 4 .

(88) **Ibid** ، انظر رقم 4 .

(89) **Ibid** ، انظر الملحق رقم 4 .

ولم تقف الإجراءات المسهلة على المسلمين صوم رمضان عند الحد المذكور ، بل تعدته إلى جعل عملهم منسجماً مع صومهم : فالبنسبة للعمّال أُعطيت الأوامر لاستبدال عمل النهار بالعمل ليلاً ، أمّا إذا تعذر ذلك ، فإنّ العمل يجب أن يبدأ باكراً وينتهي عند منتصف النهار براحة طويلة (90) .

هذا إلى جانب الحرص الشديد على أن تكون الأغذية المقدّمة للصائمين متنوّعة ومغذية وتقدّم - بانتظام - عند وقت الإفطار (91) .

* ثالثها : استصدار فتوى ترخّص إفطار رمضان للمجنّدين : فقد « سئل جناب شيخ الإسلام الحنفي بالملكة التونسية عن طائفة من المسلمين ذهبت للديار الفرنسية بأمر من حكومتهم (كذا) لخدمة أعمال فلاحية وغيرها ، وذلك مع الانتقال من جهة إلى أخرى ، وهو يستدعي اتّخاذ مآكل قوية مناسبة لمزاج تلك البلاد حتّى يمكن القيام بتلك الخدمة على الوجه المطلوب ، فهل يمكن لتلك الطائفة - والحالة ما ذكر - الفطر في رمضان ، وعليهم (كذا) قضاء صومهم عند رجوعهم للبلاد ؟ » (92) .

Ibid, Le Ministre de la guerre aux généraux gouverneurs militaires de Paris et de Lyon (90) et commandants les Régions, les Directeurs et commandant les établissements de l'Etat (l'Artillerie-Poudre-Aéronautiques), les commandants des Dépôts, des centres de Rassemblement et les Groupements de travailleurs coloniaux, Mobilisation 1914, E 440 — 18/43

انظر الملحق رقم 5

(91) Ibid انظر الملحق رقم 5

(92) Ibid, Mobilisation 1914, E440-18/43 ، انظر الملحق رقم 6 .

وقد أجاب أحمد بيرم (93) شيخ الإسلام الحنفي آنذاك (94) بقوله :
إنّ ذهاب أولائك العملة لمباشرة ما أنيط بهم من الأعمال على الوجه المفصل
أعلاه حيث لم يكن باختيارهم ، وأنهم مكلفون بذلك من قبل أمير البلاد
لمراعاة مصلحة الجمهور والأفراد ، فهؤلاء حكمهم في السفر وحكم الجند
سواء أي لهم الفطر ... » (95) .

إنّا وإن كنّا لا ندري مدى رواج تلك الفتوى بين المجندين ، ولا عدد
الذين لم يصوموا رمضان بناء عليها نشير الى :

- أنّها غير منسجمة مع أوضاع المجندين : ذلك أنّ الإجراءات التي
اتخذتها السلطات الفرنسية لتيسير الصّوم عليهم تجعل هذا الأخير ممكناً نسبياً ،
مما لا يجعل مجالاً للفتوى المذكورة ، لكن رغم ذلك قد تكون السلطات
العسكرية - لانعكاسات الصّوم على الامكانيات البدنية - تريد أن تؤمّن لنفسها
المجهود الأقصى من قبل أولائك المجندين ، فاستصدرت تلك الفتوى لتجعل

(93) أحمد بن محمد من أصل تركي ، ولد بتونس سنة 1868 تعلّم بجامع الزيتونة ، عين سنة 1900 مفتياً
حنفياً ، وسنة 1911 تقلّد مشيخة الإسلام التي أضيفت إليها رئاسة النظارة العلمية لجامع الزيتونة .
إحتج سنة 1930 على الظّهر البربري لدى رئيس الجمهورية الفرنسية ، وذلك باسم مسلمي تونس ،
كما عارض عزم فرنسا على إبدال اللّغة العربية باللّغة العامية في التّعليم والمخاطبات الرّسمية عندما
نظّمت فرنسا - سنة 1931 - ما اسمته « بمؤتمر اللّغة العربية » فأفسد عليها خطّتها ، فما كان منها إلّا أن
بادرت - سنة 1933 - إلى عزله وعزل الوزير الأكبر آنذاك ، توفي سنة 1935 ، حول ترجمته أنظر ،
محمد بن يونس السّوسي ، الفتاوي التّونسية في القرن الرّابع عشر الهجري ، جمعاً وتحقيقاً ودراسة لما
نُشر بتونس ، أطروحة دكتوراه دولة ، مخطوطة ، الكلية الرّيتونية للشريعة وأصول الدّين ، 1986 ،
ج 1 ، ص 128 - 129 ، وص 42 و 43 .

(94) بالنّسبة لشيخ الإسلام المالكي لم نعثّر له على فتوى بالنسبة للحرب العالمية الأولى ، في حين توجد فتوى
في نفس الموضوع وبنفس المحتوى باسم محمد الطاهر بن عاشور بتاريخ 3 سبتمبر 1939 انظر ،

A.G.T., Mobilisation 1914, E 440 — 18/43

A.G.T., Mobilisation 1914, E 440 — 18/43

لهم مخرجاً من مشقّة الصّوم ، وهي تعلم أن فتوى من ذلك القبيل من شأنها - لشرعيّتها الدّينية - أن لا تكون محلّ ريبة من المجنّدين .

- أن الإفتاء بالافطار بالنسبة لأولئك المسلمين جاء بالقياس على السّفر الذي رخص الشّرع بالإفطار فيه شريطة حصول المشقّة للمسافر ، ممّا لا علاقة له بوضع أولئك الجنود .

وهو ما يوضّح أن السّلطات الاستعمارية التي وظّفت المؤسسات الدّينية ورموزها لتقنين سياستها في البلاد التّونسية قد واصلت ذلك التّوظيف لبعض العلماء بما يصدرونه من فتاوي قد لا تتسجم مع الشّرع بقدر ما تستجيب لمصالح الاستعمار . بقي أن نشير في إطار السّياسة الدّينية لفرنسا تجاه المجنّدين - فيما يتعلّق بالصّوم - إلى ما وفّره لهم بمناسبة عيد الفطر : ففي إطار الاستعدادات له ، عملت السّلطات العسكرية على توفير « النّفق » ، والسّجائر بتلك المناسبة ، إلى جانب الكسكسي والتّمر والمشروبات لتوزّع على الجرحى من المسلمين (96) . فبالنسبة إلى عيد سنة 1915 وقع « إشهاره ... » ، في جميع المستشفيات المعالج فيها العسكريون المسلمون ، حيث كان الضّبّاط المترجمون المشتغلون بالعساكر الإسلامية قد هيّؤوا أطعمة فاخرة ... ، على يد طبّّاخين عرب ... فيها الكسكسي ومشوي الضّأن المذكى ذكاة إسلاميّة ... ، وكان المدعوون في فرح فائض وانبساط كبير ... ، يشربون القهوة العربية والشّاي « المنعنع » ... ، والموسيقى العربية تشنّف الأسماع بأحسن النّغمات ذوقا ... ، وبعد الأكل جاءت ، الأناشيد والأرقاص (كذا) العربية والألعاب المختلفة ... » (97) .

(96) Ibid. Piat au R.G. de France à Tunis, le 30/7/1915, E 531 — 93, document n° 131 — 132

(97) « في مستشفيات فرنسا ، الأعياد الإسلاميّة » ، جريدة أخبار الحرب ، عدد 61 ، ليوم

15/10/1915 ، ص 1 .

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى 207

وبمناسبة عيد الفطر لسنة 1916 ، أقامت « جمعية المحبة الإسلامية » حفلاً حضره ما بين مائة ومائة وخمسين من الجنود المسلمين ، وقد افتتح بمراسم دينية ترأسها الإمام عبد الرحمن القطراني - الملحق بالمؤسسات الصحية بباريس - ، وفي حدود الساعة الحادية عشرة صباحاً - أمكن للمجندين تذوق أطعمتهم المفصلة كالمشوي والكسكي والحلويات الجزائرية (98) . وقد تواصل الحفل - بعد الزوال - بالرقص « العربي » و « السوداني » من طرف « أربعة راقصات عربيات . . . على وقع الدف والقيثارة وعلى الزغاريد التقليدية . . . » ! (99) ، مع العلم وأن نفس الاحتفالات كانت تقع أيضاً بمناسبة عيد الإضحى (100) .

كل ذلك دعاية لفرنسا (101) ، ودعاية مضادة للدعاية الدينية لألمانيا التي كانت لها - هي الأخرى بمناسبة الأعياد - نفس الاحتفالات تقريباً (102) .

«Les soldats musulmans à Paris, la clôture du Ramadan». **le petit journal**, du 2/8/1916; (98) voir aussi, **l'Evennement** du 2/8/1916, **le journal** de la même date.

C.N.U.D.S.T, Guerre 1914 — 1918, Note datée du 2/8/1916, Carton 1661, bobine (99) P. 79, 12/1914 — 1918, f. 123.

(100) حول ذلك أنظر « في مستشفيات فرنسا ، الأعياد الإسلامية » ، جريدة أخبار الحرب ، عدد 61 ،

ليوم 15 أكتوبر 1915 ، ص 1 ، وكذلك ، C.N.U.D.S.T; Guerre 191 — 1918, Note émanante du chef du service photographique de l'armée, le 11/10/1917, Carton 1669,

bobine P. 81, 10/1917 — 4/1919, f. 13.

(101) من ذلك أن جريدة أخبار الحرب (عدد 61 ليوم 15 أكتوبر 1915) أوردت رسماً باليد على حوالى نصف صفحتها الأولى كتب أسفله « أنظر عساكر التيرايبور والمسلمين يوم عبد الفطر يشوون في أحد مستشفيات مدينة « بو » بفرنسا » .

(102) من ذلك أنه في محتشد زوسن أحيى الجنود المسلمون عبد الفطر لسنة 1915 على النحو التالي : يوم

العيد هو يوم راحة ، وفي الصباح الباكر يخرج الجنود - على أنغام الموسيقى - الى المسجد لأداء

الصلاة ، وبعد المراسم الدينية ، ينتظم بالاحتشد استعراض . كما توزع بعض المأكولات ، وتلقى

الخطب الحماسية . . . » ، أنظر **A.G.T; Mobilisation 1914**, Note émanante de Nancy, le 25/10/1916, E 440 — 18/38.

(5) دفن الموتى من المسلمين : أشرنا في البداية إلى أن عدد التونسيين المسلمين الذين التحقوا بفرنسا - طيلة مدة الحرب - سواء كجنود أو عمال تجاوز المائة ألف .

وقبل الحديث عن الذين قتلوا أو فقدوا منهم نشير إلى أن معاملتهم وخاصة ظروف إقامتهم - في مواقع العمل أو على جبهات القتال - كانت سيئة جداً باعتبار المسؤولين الفرنسيين المباشرين لهم أنفسهم :

فقد كانوا لا يمكنون من تبديل ملابسهم الداخلية ، وليس لهم زوجات من الأقمصة أو الجوارب ، كما كانت ظروف السكن رديئة جداً : فالعسكريون يقيمون داخل الكنائس المتداعية على فرش من قش ، وليس لهم ، إلا غطاء واحد من الصوف ، كما أن المعاطف المعطاة لهم لا تعدو أن تكون إلا وشاحاً لا يغطي إلا الجزء الأعلى من الجسم .

وعند اندلاع المعارك يقاتلون ضدّ الخنادق الألمانية بالحراب ، وفي مناطق مكشوفة مما جعل عدّة وحدات منهم تُباد بنسبة 85 ٪ (103) ، وذلك لأنّ « جنود المستعمرات يوضعون في الصفوف الأمامية ، إذا كانوا يُستعملون بصفة مكثّفة في الفرق الهجومية ، ويلقى بهم مباشرة في أتون المعارك حفاظاً على أرواح الجنود الفرنسيين » (104) مما جعل الخسائر في الأرواح في صفوفهم أقلّ بكثير من خسائر التونسيين (105) .

إنّ ظروف الإقامة تلك من حيث الملبس والسكن في الظروف المناخية الشديدة البرودة خاصة بالمناطق الشمالية - والتي لا طاقة للتونسيين باحتمالها - قد أدّت - لا شك - إلى موت الآلاف منهم ، بالإضافة إلى الذين أصيبوا

(103) حول تلك الظروف ، انظر ، Arnoulet, op. cit, p. 54

Goldstein, op.cit, p. 176

(104)

Arnoulet, op. cit, p. 48

(105)

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى 209

بأمراض شتّى - خاصة الالتهابات والنزلة الرئوية - ، والذين قتلوا في ساحات المعارك ، وهوما يكشف مدى الاستنزاف البشري الذي استهدفت له البلاد التونسية أثناء الحرب العالمية الأولى ، ذلك أنّ الخسائر البشرية التونسية وصلت إلى 35.000 (106).

إنّ ارتفاع عدد هؤلاء الذين ماتوا بالبلاد الفرنسية يفرض علينا التساؤل عن الطريقة التي واجهت بها السلطات الفرنسية ذلك من حيث طريقة دفن الموقى من المسلمين .

ففي مستوى أوّل ، وبتعليمات من المقيم العام الفرنسي بتونس كان إعلام العائلات التونسية بوفاة أبنائها على الجبهة يتمّ تدريجيّاً ، إذ يقع - في البداية - إعلام عدد ضئيل منها بالنسبة لكلّ قيادة ، وبعد مرور فترة من الزمن - على الاعلام الأوّل - يقع إعلام دفعة أخرى من العائلات (107) . لكن رغم إجراءات التكتّم تلك ، فإنّ خبر وفاة بعض الجنود كان يصل إلى عائلاتهم بطرق ملتوية (108) .

أمّا فيما يتعلّق بمراسم الدفن - نفسها - فقد حرصت السلطات الفرنسية على أن تكون مطابقة تماماً لتلك التي يقع العمل بها في بلاد المسلمين : فلقد وصل إلى علم السّلط المذكورة أنّ الجنود المسلمين يدفنون أحيانا بدون تلك المراسم ، بل - وأحيانا - يدفنون في نفس الوقت وبنفس المراسم

Ibid (106)

A.G.T; Le Directeur de l'administration centrale de l'armée Tunisienne au secrétaire general du Gouvernement Tunisien, Mobilisation 1914, E 440 — 18/30.

(108) كمثال على ذلك أورد قايد الهمامة أنّ بعض الموجودين بفرنسا من أصدقاء أو أقرباء الجنود إذا أرادوا إعلام أحد العائلات بموت ابنها على جبهات القتال يرسلون إليها بسلام (الجندي المتوفي) إلى والده أو أمّه أو أخيه من أحد الذين ماتوا منذ مدّة ، وانطلاقاً من ذلك السّلام المرسل إلى الأموات تعرف العائلة أن ابنها لم يعد على قيد الحياة ، انظر ، A.G.T; Le Caïd des Hamamma au Secrétaire general du gouvernement Tunisien, le 23/2/1915, Mobilisation 1914, E440 — 18/14.

التي يدفن بها غيرهم من الجنود الفرنسيين ، الأمر الذي كان له صداه السيء في المغرب الأقصى مثلا (109) ، خاصة وأن تلك التجاوزات قد استغلّتها - على ما يبدو - ألمانيا في شنّ حملة دعائية لتشويه فرنسا ، وذلك من خلال مناشير اتّهمتها فيها بعدم احترامها لطقوس تغسيل الموق ودفن الذين يموتون من المسلمين على الجبهة (110) .

كلّ ذلك فرض على فرنسا - كالعادة - ردّ الفعل وتدارك الأمر بـ :
 * توفير الإطار الديني لإتمام إجراءات الدفن وفق التّراتيب الإسلامية :
 ذلك أنّ ارتفاع عدد الذين يموتون فرض استقدام المزيد من الأيّمة ، وتدعيم الإمام المكلف بالدّفن بثلاثة معاونين (111) .

وفي الحالات التي لا يتوفّر فيها الإطار الرّسمي ، أعطيت الأوامر ليتولّى القيام بتلك المراسم أعوان يقع اختيارهم من بين العمّال في أماكن تجمّعهم (112) ، ومن بين العساكر بالنّسبة إلى الجنود (113) .

* إصدار تعليمات واضحة ومفصّلة إلى رؤساء المؤسسات الإستشفائية ، وإلى قوّاد الوحدات الإفريقية باتباع مراسم الدفن المعمول بها عند المسلمين . لقد كانت السّلطات الفرنسية مدركة أنّ الدفن وفق تلك الطّقوس يُعتبر من أوكد اهتمامات العسكريين التّونسيين الذين يموتون بفرنسا ، وكذلك من أوكد اهتمامات عائلاتهم .

C.N.U.D.S.T., Guerre 1914 — 1918, le general Lyautey au Ministre des affaires (109) étrangères, le 11/10/1914, Carton 1664, bobine P.80, 7/1914 — 2/1915, f. 29.

Ibid; Note datée du 10/4/1917, Carton 1661, bobine P. 72 12/1914 — 5/1918, f. 195 (110)

Ibid (111)

Ibid; le Ministre de la guerre au Ministre des affaires étrangères, le 4/4/1917, f. 194. (112)

A.G.T., Le Ministre de la guerre au gouverneur commandant la Région de 1 à 21, le (113)

16/10/1914, Mobilisation 1914, E440 — 18/29.

واعتباراً لذلك ، جاء قرار وزير الحرب الفرنسي - المؤرخ في 3 ديسمبر 1914 - ليحدّد بتفصيل ووضوح كاملين مختلف المراحل التي يجب أن تمرّ بها عملية الدّفن : فعند لحظة الاحتضار ، يجب الإسراع بإحضار أحد المسلمين ، وإعانة المحتضر على النّطق بالشّهادة برفع السّبابه من اليد اليمّنى ، فإن تعذّر ذلك ، كان بإمكان أحد المسلمين أن ينطق بها له (114) .

وبعد مفارقة الحياة له ، يُغسّل الجسم بأكمله بالماء السّاخن ، وهي مهمّة يوكل القيام بها إلى من يرغب في ذلك ، ثمّ يُلفّ الميت في كفن كاف من القطن الأبيض يغطّي كامل الجسم ، ثم يحمل الفقيد - إلى مكان الدّفن - على محمل Civière يحمل باليدين ، ويمنع منعاً باتاً وضعه في تابوت (115) . أمّا المراسم المصاحبة للنّعش ، فلا يمكن أن يقوم بها إلّا مسلم لمعرفته بترديد بعض الأدعية وأداء صلاة الجنازة ، وفي حالة تعذّر وجود أحد المسلمين يقع إلغاء تلك المراسم ويقع الاكتفاء بالتّشريفات العسكرية فقط (116) .

أمّا القبر فيجب أن يحفر في اتّجاه جنوبي غربي شمالي شرقي ، بحيث يكون جسم الميت داخله مسنداً على جنبه الأيمن ، (117) .

وتطبيقاً لتلك الاجراءات والتّعليمات هناك بعض المسلمين ممّن دُفن وفقاً لها : من ذلك أنّ المسمّى محمد بن هلال - من تيراوير المغرب الأقصى - توفّي بباريس بعد أن جرح - في ميدان القتال - جرحاً خطيراً ، فتّم دفنه « طبق

Ibid., du même au général commandant la 19^e region, le 3/12/191, E 440 — 18/29 (114)

أنظر الملحق رقم 7 .

(115) Ibid ، انظر الملحق رقم 7

(116) Ibid ، انظر نفس الملحق

(117) Ibid . أنظر نفس الملحق

الذين الإسلامي من كل وجهه حسب أوامر الدولة الفرنسية ،
وشيّعت جنازته في باريس بمحضر عدد كثير من رفقاءه ومن الضباط ونواب
الحكام المدنيين . . . » (118) .

إن هذه الرواية التي أوردتها جريدة أخبار الحرب الرسمية - الحريضة
على تلميع صورة فرنسا لدى سكان مستعمراتها - وإن كانت تتناقض مع ما
راج في المغرب الأقصى عن ظروف دفن القتلى من المسلمين حتى أن ما أوردته
الجريدة المذكورة قد يكون تهديئة للخواطر في شمال إفريقيا - نجد - تقريباً -
مثيلاً لها بالنسبة لتونس : ذلك أن العريف اسماعيل بن رابح - من الكتبية
الثانية ، الفرقة الرابعة من التيراور - أشار في رسالته إلى والده - بتاريخ
20 ماي 1915 - إلى أن ابن أخته الطاهر ابن اسماعيل « صار إلى
عفو الله . . . ، وكذلك محمد بن سعيد بن عبد الله . . . ، ونعرفكم أنني
دفنتهم (كذا) بنفسي ، وطلبت بعض طلبة للقراية عنهم في الجنازة ، وكفلتهم
غاية الكفل ، وتكفلت بهم غاية التكفل ، فالحمد لله الذي صار موتهم معي
(كذا) . . . » (119) .

غير أن هذه الأمثلة لا تعني بالضرورة - أن كل الذين ماتوا في تلك
الحرب قد تم دفنهم وفق مقتضيات الشرع الإسلامي ، ذلك أن قلة الإطار
الديني وكثرة الذين يموتون بالإضافة الى كثرة جزئيات مراسم الدفن وما تتطلبه

(118) « جنازة تيراور مات في فرنسا » ، جريدة أخبار الحرب ، عدد 31 ليم 12 مارس 1915 ، ص 4 .

A.G.T., Mobilisation 1914, E 440 — 18/30.

(119)

ظروف الحرب من سرعة في مواراة القتلى التراب تحملنا على القول بأنّ جلّ الذين ماتوا قد يكونون دفنوا في ظروف لا علاقة لها البتّة بتلك المراسم التي تحدّثت عنها المناشير الفرنسية السابقة الذكر ، فقد دفنوا دون أن يلقّنوا الشهادة وخاصة دون أن يغسلوا وقد أودعوا في حفر جماعيّة (120) .

بقي أن نشير - في مسألة الدفن - إلى أنّ الحكومة الفرنسية أصدرت تعليمات تتعلّق أيضا بقبور أولائك المسلمين :

فمن « تمام عدل الدّولة الفرنسية [على حدّ قول جريدة أخبار الحرب] أن جعلت قبور المسلمين الذين استشهدوا في الحرب على حدة ، في جهة مخصوصة بهم ، عليها امتيازات إسلامية ... » (121) ، مع العلم أنّ « قبور أولائك الأبطال كانت ملحوظة من طرف المجالس البلدية بغاية العناية

(120) في هذا الصّدّد نشير إلى أنّ الأوساط الدّينية التّونسية سئلت - أثناء الحرب العالمية الثّانية - عن رأيها « ... » في جنود يموتون بساحة القتال ، ويتعذّر تهيئة قبور لهم بفقدان مواد البناء واللّخود فهل تجوز مواراتهم في حفر ، وردمهم مباشرة بالتراب مع مراعاة الاتّجاه الشرعي في وضع الميّت . فأجاب شيخ الإسلام - آنذاك - محمد الصّالح بن مراد بأنّ « ذلك جائز لأنّ الأمر يدور - في هذه الحالة - بين أن يقبر (الميّت) أولا يُقبر أصلاً ، ولا شكّ أنّ قبره على الوجه المذكور متعيّن لأنّ المقصود في وضع الميّت في القبر - حسب ما صرّح به الفقهاء - منع الرّائحة ، وعدم اعتداء السّباع على جُثث الأموات ، وهذان الأمران يجب تحقيقهما كيفما كان الحال ... ، وللضرورة أحكام ... » ، أمّا محمد العزيز جعيط - المفتي المالكي آنذاك - فأجاب بأنّه « يجوز إذا تعذّرت تغطية القبر ولو بلوّج أو حجر أو قصب أن يُحال التراب مباشرة على الميّت للضرورة ، قال خليل - في المختصر - وسدّ القبر بلبق ثمّ لوح ثمّ قرمود ثمّ أجر ثمّ قصب ، وسدّ التراب أوّل من التّابوت ... » ، انظر A.G.T., Mobilisation 1939, E 440 — 18/107.

(121) المقراني ، المفتي الكائن ببلد باريس ، « المرضي والجرحى من المسلمين في فرنسا » ، جريدة أخبار الحرب ، عدد 72 ، ليوم 31 ديسمبر 1915 ، ص 4 .

والرعاية (122) لما قدّموا من توضّحات « (123) على حدّ قول الجريدة السابقة الذكر !!! .

لقد نصّت التعليمات العسكرية على أن يجعل علامة لقبور العساكر من المسلمين بواسطة علامتين * من الحجر أو الخشب ، توضع إحداها على القبر في مستوى رأس الميت ، وتحمل كتابة واضحة بالعربية تتمثل في اسم الميت (124) ، أمّا العلامة الثانية والتي لا تحتوي على كتابة - فتوضع في مستوى الرّجلين ، كلّ ذلك تخليدًا لذكرى أولئك الجنود المسلمين الذين ماتوا من أجل فرنسا (125) ، مع العلم وأنّ العلامات المذكورة قامت بتوفيرها « جمعية المحبّة الإسلامية » (126) .

ومن جهة أخرى فإنّ السّلطات الفرنسية بادرت - أحياناً - إلى اعلام بعض العائلات التّونسية بتحويل جثمان بعض أبنائها من مقبرة إلى أخرى ، مع ذكرها للمقبرة السابقة والمقبرة الجديدة، بل وإعطاء الرّقم الذي منح وقتياً للقبر ، في انتظار مدّة تلك العائلات بالرّقم النهائي ، كلّ ذلك بالإضافة إلى مدّة

(112) من ذلك مثلاً أنّ بلدية أورليان Orléans فكّرت في حالة العائلات التي لم تتمكّن من المجيء إلى فرنسا للوقوف على قبور أبنائها ، ومدى أهميّة صورة تذكارية للقبر بالنسبة إليها ، فبادرت إلى أخذ صور فتوغرافية للمقبرة العسكرية بالمدينة المذكورة ، وأرسلت بها - في شكل بطاقات بريدية - إلى بعض العائلات التّونسية المدفون أبنائها بالمقبرة المذكورة ، كعائلة عمّار بن الحاج - من جهة القيروان ، انظر

A.G.T., Mobilisation 1914, E 440 — 18/46

(123) « تكريم أموات العساكر المسلمين في فرنسا » ، جريدة أخبار الحرب ، عدد 118 ، ليوم 17 نوفمبر 1916 ص 4 .

* deux stèles

(124) انظر الملحق رقم 8

(125) A.G.T., Le Ministre de la guerre au gouverneur commandant la 19^e Region, le 13/12/1914, Mobilisation 1914, E 440 — 18/29. انظر الملحق رقم 7 .

(126) « علامات لمقابر الموتى » . جريدة المحبّة الإسلامية ، عدد 1 ليوم 10 ديسمبر 1915 ، ص 3 .

تلك العائلات بتخطيط جزئي * لبعض المقابر الموجودة بمختلف جهات فرنسا والتي دفن بها بعض التونسيّين ، مع التّنصيب على القبر وتعيينه بتلوينه حتّى يكون بارزًا بالنّسبة لتخطيط المقبرة (127) ، كلّ ذلك لتيسير معرفة مكان وجوده على العائلات الرّغبة في زيارته .

تلك هي في حدود اطلاعنا - أهمّ مظاهر السّياسة الدّينية لفرنسا - على الجبهة - تجاه التونسيّين المجنّدين في الحرب العالميّة الأولى ، وهي سياسة تبرز بصفة جليّة مدى توظيف فرنسا للدّين في خدمة مصالحها الاستعماريّة تبعًا لشعورها - آنذاك - بأهمّيته في الحفاظ على تلك المصالح وتدعيمها ، فلم تكن تلك السّياسة اعتناء بالإسلام - كما روّجت لذلك السّلطات الفرنسيّة - بل كانت استعمالاً له .

وبذلك يمكن القول بأن فرنسا - أثناء الحرب العالميّة الأولى لم تلحق أضرارًا بالبلاد التّونسيّة ديمغرافيا باستنزاف إمكانيّاتها البشريّة بتجنيد عشرات الآلاف من أبنائها للدّفاع عن التّراب الفرنسيّ فحسب ، بل أضرتّ بها كذلك دينيًّا بتوظيفها للمعطى الدّيني - إلى جانب توظيفها للمعطى البشري - في تمرير مخططاتها على حساب سكان البلاد وعقيدتهم .

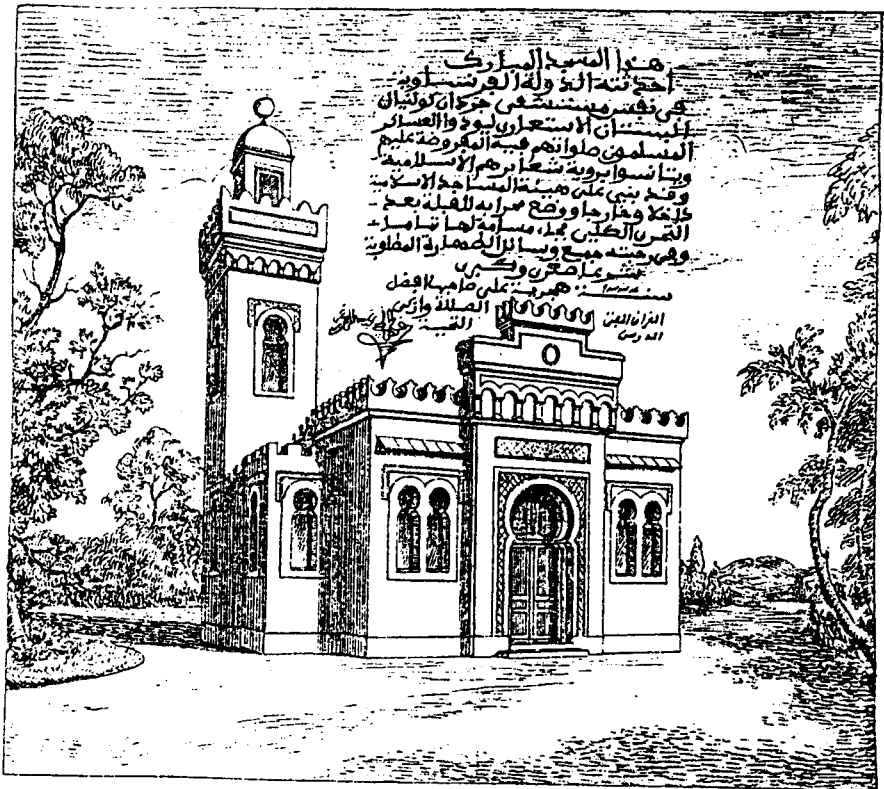
التليي العجيلي

رسالة نعيم الصلاة والسلام على رسول الله

68

وبعد وقد فتح يوم جاء في الثانية على هجرية
على صاحبها من الصلاة والوضوء والتحية المرافقة يوم الأبرار
مسجدة المسجد الذي استسقى الدولة العربية من
بستان شجر جردان كدنياه در البستان (الاستعانة) في حضور
فتم جمع غفير من العرب والمسلمين الجرحى بعدد ما عظم من ثلثي
لغاية الغداة من اياه بنة العلة خيرة التي اعدت لهم يومئذ بالمشهد
والذات الكلد العربية الاوريفية ما استسقى والشجر والكتاب والاول
الطوبى لجزيرة الغروضة وغيره وقاية صلاة ظهره في
اليوم باناسم الشيخ الغزالي وبعده زميله العلامة الاناسي ربح
فلحقه في السيد عبد الرحمن ثم بعد السعفات الذكور والورقة
على صلاة معروضة توجهوا الى الله السميع العليم بقلوب خائفة
ورباب خاضعة لما يبشئ منه النصر له ولهم من سائر اهلها
وحدث انما الوحيية وزبادتها وماتت وقتة بشائر انبوية
من جمعهم البشارة الحية وانوار علامة زجانية دعواتهم سالحة
وعظم العزم والسرور بشاهدة هذا المسجد العظيم الذي
وضع على ارجاء المشرك الاسلامي ورحمته كعبته تنبؤ
الروح وتمايل من عجيب ونفها الا يشاج نور مستعظمه انما
الدولة العربية التواترة عليهم وتحققوا الطربا الهان
اربعون رجب الحبية فوهم حيث ساعدتهم بكما يرضيهم دينا
وعادة ومن جوط اعترافهم بخير وقتهم من سائر الكونية فقهوا
يصوت واحد من جمع بعد فرجه من دكان المسجد صيانة
من ربه الله تعالى في انوار من سائر جنات اوطاننا باختيارنا
متكلمين نذرع على شرب اناسنا المتمسكة بالحق السائرة
على هذه الاستقامة والعدل انما اجرهم بالاعضوة التي بقيت
لنا سائنة نضموها على جمل عزمها ولا غرر اننا على بعض
تأه ان نهائية الضمير والحق لدولة من سائر اهلها وختموا
هذا الجمل في الجود العربية اسود الحرب والتميز انهم
مبهورين لا تخفى بالاشاء الجليل والاشكر انهم على دولتهم
برسالة

Mosquée de l'Hôpital du Jardin Colonial



Cette Mosquée bénie a été édictée par le Gouvernement Français au Jardin Colonial, pour que les soldats musulmans puissent y accomplir leurs devoirs religieux et s'y trouver dans une ambiance confessionnelle musulmane.

Elle a été bâtie selon le modèle des mosquées mahométanes, tant en ce qui concerne sa partie extérieure que celle intérieure. Le Mihrab a été rigoureusement orienté vers la Kibla (1). L'édifice est doté de tous les moyens de purification exigés par le culte.

Année 1334 de l'Hégire (Saluts et vœux au le Prophète.)

KATRANDEI ABDERRAHMANE

Adel

à la Mahakma Malékite. — Alger.

EL MOKRANI

Muphti Professeur
d'Orléansville.

1. Direction de la Mecque, vers laquelle les Musulmans doivent se tourner au moment de la prière.

رسم لمسجد مستشفى

A.G.T. D 70 — 8

السياسة الدينية لفرنسا على الجهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى

MINISTÈRE
DE LA GUERRE

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

Paris, le 26 JUIN 1915

ETAT-MAJOR DE L'ARMÉE
SECTION D'AFRIQUE

N° 3371 s/11

LE MINISTRE DE LA GUERRE

à : Monsieur le Général Gouverneur Militaire de PARIS

Monsieur le Général Commandant la Région du Nord

BOULOGNE

Au sujet du Ramadan

Messieurs les Généraux Commandant les Régions

--+=--

de 5 à 18 - 20 à 21

Le jeûne annuel que la religion musulmane impose à tous ses fidèles pendant le mois de Ramadan commencera le 15 juillet prochain pour se terminer le 12 août.

Cette obligation étant respectée par la grande majorité des militaires musulmans, il convient de prendre des dispositions pour que ceux qui auront manifesté leur désir de s'y soumettre, puissent s'y conformer.

Le jeûne du Ramadan consiste dans une abstinence complète de nourriture et de poisson depuis l'aurore jusqu'au coucher du soleil. Il est donc nécessaire que ceux qui le pratiqueront prennent la nourriture de la journée entre le coucher du soleil et 1 heure.

En conséquence, Messieurs les Généraux Commandant les Régions voudront bien inviter les Commandants de dépôts de troupes indigènes et les médecins chefs des formations sanitaires, à prendre toutes mesures utiles pour qu'à partir du 12 juillet, au soir, les militaires musulmans qui auront déclaré vouloir jeûner, puissent prendre leurs repas aux heures

suivantes....

سياسة إندية فرنسا على الجهة تجاه التونسيين المجتدين في الحرب العالمية الأولى

suivantes:

- a) Café du matin reporté au coucher du soleil
- b) déjeuner - 30 minutes environ après le café
- c) dîner - vers 24 heures.

En pays musulman, la rupture du jeûne est annoncée chaque soir par un appel à la prière.

Cette pratique n'étant pas réalisable en France, les musulmans seront laissés, dans chaque groupement, libres de fixer le moment où ils croiront devoir prendre leur premier repas.

La religion musulmane ne fait pas de ce jeûne une obligation absolue pour les malades qui ne pourraient pas le supporter sans inconvénients.

D'après la tradition, 3 journées du mois de Ramadan sont considérées comme jours fériés.

Ce sont:

En Mesfia qui tombe le 15 Ramadan (27 juillet)

Lilet El Fedila - d°- 27 - d°- (8 août)

L'Aïd Seghir, fin du jeûne.....(12 août).

Il est de coutume de laisser un peu plus de liberté aux militaires musulmans à l'occasion de ces fêtes et d'améliorer, dans la mesure du possible, le repas des soirées qui les précèdent.

Il conviendra de tenir compte de cette coutume.

Pour le Ministre et par son ordre
Le Général Sous-Chef
d'Etat-Major de l'Armée

signé: G R A Z I A N I .

Pour copie conforme

Le Colonel,
Chef de la Section d'Afrique

A.G.T., Mobilisation 1914, E 440-18/43

1.1 

DE LA GUERRE

DIRECTION DES
TROUPES COLONIALES

Paris, le 19 Juin 1916.

SERVICE
de l'ORGANISATION
des TRAVAILLEURS
COLONIAUX EN FRANCE

2734-5/8

Ouvriers musulmans
-----Le Ministre de la Guerre
à Messieurs les Généraux Gouverneur Militaires de
Paris et de Lyon et Commandants les Régions,les Directeurs et Commandants les Etablissements
de l'Etat (Artillerie - Poudres - Aéronautique),les Commandants des Dépôts, des Centres de Rassem-
blement et des Groupements de Travaillleurs ColoniauxAu sujet du jeûne
de Ramadan.L'une des plus importantes prescriptions de la Foi
Religieuse des Musulmans est l'observation du jeûne durant le
mois de Ramadan qui doit commencer dans quelques jours.Pendant cette période, le Musulman ne peut manger, boire
et fumer que depuis le coucher du soleil jusqu'à environ deux
heures avant le lever. Tout le reste du temps, il doit obser-
ver le jeûne le plus rigoureux.S'il arrive fréquemment que les Mahométans oublient
certains des préceptes de la loi coranique, comme lorsqu'ils
consomment, avec trop de facilité des breuvages interdits, tels
que les boissons alcoolisées, il est bien rare qu'ils n'obser-
vent pas scrupuleusement le jeûne du Ramadan.Il est donc à prévoir que la majorité des musulmans
actuellement en France se soumettra à cette pratique religieuse.J'ai décidé, en conséquence, qu'il y avait lieu d'ac-
corder à tous les Travaillleurs de l'Afrique du Nord qui auront
déclaré vouloir observer le jeûne du Ramadan, toutes les facilités
compatibles avec les obligations de travail qui leur
incombent.A cet effet, toutes les fois que la chose sera possible
le travail de jour devra être remplacé par le travail de nuit,
moment où il est permis aux Mahométans de s'alimenter. Dans le
cas contraire, le travail commencera le matin le plus tôt pos-
sible et sera coupé au milieu de la journée par un long repos,
de trois ou quatre heures.Les Commandants de groupement devront veiller, d'une
manière très attentive à ce que l'ordinaire des travailleurs,
qui a été réglementé par l'instruction du 24 Mai 1916, leur
assure durant cette période une alimentation reconfortante et
variée, et pour que les repas soient servis très régulièrement
aux heures où il est permis de manger (coucher du soleil et
vers 1 heure du matin), à ceux des travailleurs musulmans qui
auront déclaré vouloir observer le jeûne.Les services employeurs se rendront compte que si ces
mesures peuvent apporter une gêne momentanée dans l'exécution
des travaux qui leur sont confiés, elles auront sans nul doute
pour effet d'écartier tout motif de refus de travail, et par la
sollicitude témoignée à ceux qui veulent observer les pratiques
religieuses de leur pays, de ne pas entraver le recrutement de
nouveaux travailleurs dont l'utilisation devient chaque jour
plus pressante.D'une manière générale il est recommandé à toutes les
autorités civiles ou militaires qui ont à s'occuper directement
ou indirectement des travailleurs musulmans, de montrer envers
eux-ci, durant le mois du Ramadan, toute l'indulgence compati-
ble avec les nécessités du service.Pour le Ministre et par son ordre
Le Général, Directeur des Troupes Coloniales
P. FALIN.

ملحق رقم 6

فتوى في استباحة إفطار رمضان للتونسيين المجندين (1915)

الحرمه تسئل جنده نبين الاسلام بالملكة التونسية عن طليعة من المسلمين
ذهبت للديار ابرع نساوية بامر من حكومتهم لمخرمة ايمان بلاد خيت وغير هذا
وذلك مع الانتفال من جهة الى اخرى وهي تستدعي انما ذلك فونة مناسبة
لمزاج تلك البلاد وحتى ياتي الضيق بتلك الحرمة على الوجه المطلوب. فهذا يمكن
لتلك الطليعة والحاجة ما ذكره البطر في روضه وعندهم فضاء صولهم عن رجوعهم
للبلاد ا ح ٢ -

باجابة جنابه ماضيه
الحرمه الجواب انه ذهاب اولئك العملة لمباشرة ملة نيتهم من الامان على الوجه
المعصى اعلا حيث لم يكن باختيارهم وانهم مكلعون بذلك من قبل امير البلاد
الرعاية مصلحة الجمهور والاولاد به سواء حكمهم في السيف والسواء حكم الجنود سواء
(اي لهم البطر) فانه واجبي به بمدرجه اجريهم نبين الاسلام بتونس طلبا الله به
في غرة جوان ١٩١٧ -

ملحق رقم 7



صور لقبور الجنود المسلمين

C.N.U.D.S.T., Gerre 1914 — 1918, Carton 1663 bobine P.79, 9/1915 — 5/1918, f.45

السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسيين المجندين في الحرب العالمية الأولى